الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية

في عهد السلطان عبدالحميد الثاني

على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية



الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

د. محمد بن عبدالله آل زلفة



الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية

الدكتور / محمد بن عبدالله آل زلفة

الناشر: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

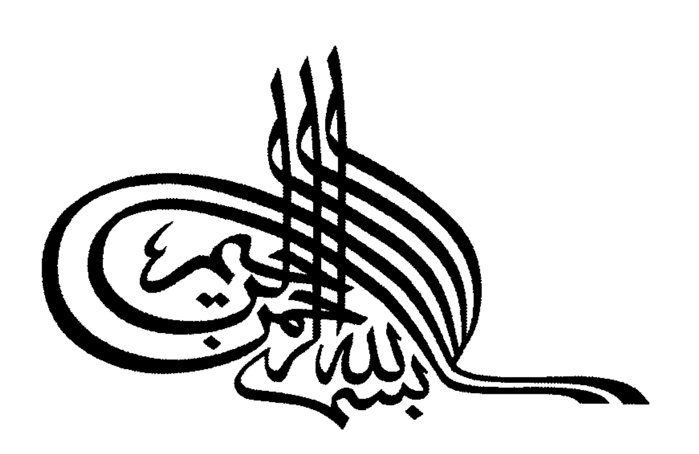
١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م

اسم الكتاب : الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية
حقوق الطبع محفوظة
الناشر: دار بلاد العرب للنشر والتوزيع
شارع الأمير محمد بن عبدالعزيز (التحلية) الرياض
المملكة العربية السعودية
ص.ب : ٨٥٠٧٤ الرمز البريدي: ١١٦٩١ الرياض
هاتف : ٤٦٢٢٤٤٩ فاكس : ٤٦٢٠٦٩١
الموقع الالكتروني : E-mail:arab_house@hotmail.com

مركز آل زلفة الثقافي والحضاري
المملكة العربية السعودية - المراغة أحد رفيدة (أبها)

١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

تصميم الغلاف : رائد بن محمد الفاسي
raedzzo@hotmail.com.


بسم الله الرحمن الرحيم

الإصلاحات العمرانية في الولايات العربية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني على ضوء الوثائق والصور الفوتوغرافية

كان تسنم السلطان عبد الحميد الثاني مقاليد السلطة في مرحلة حرجة، في تاريخ الدولة العثمانية، في القرن التاسع عشر، فجيء به إلى السلطة قبل أن تجف دماء عمه السلطان عبدالعزيز الذي كانت وفاته في ظروف غامضة، قيل إنه قتل على أيدي الإصلاحيين وعلى رأسهم مدحت باشا، وقيل إنه انتحر، كما قيل إنه مات مسموماً .

وعُيّنَ مباشرة بعد مقتل السلطان عبد العزيز، السلطان مراد الخامس من قِبل الإصلاحيين، لكن حكمهُ لم يدم سوى ٩٣ يوماً، فقد تعرض لحالة صحية مفاجئة انتهت به إلى الجنون. فَعُزِلَ وعُيِّن خلفاً له السلطان عبدالحميد الذي لُقِّبَ بـ (عبدالحميد الثاني).

لم تكن هذه المآسي على المستوى العائلي وحدها من المشاكل التي صاحبت تولي هذا السلطان مقاليد الحكم بل كانت العقبات الكبرى التي لا تقل أهمية هي تلك الظروف السياسية التي كانت تعصف بأحوال الدولة إضافة إلى الهزائم العسكرية التي تعرضت لها الجيوش العثمانية في أكثر من جبهة. كالجبهة الروسية، وحروب البلقان، واليونان وغيرها، ثم الأحوال الاقتصادية الخانقة إذ كانت الدولة على وشك الإفلاس.

وكان دعاة الإصلاح، وعلى رأسهم المصلح الكبير أحمد مدحت باشا يدفعون الدولة نحو الإصلاح، فقد كانوا يعتقدون -وربما كانوا محقين -أن السبيل الوحيد لانتشال الدولة من محنتها والظرف الصعبة التي تواجهها والتي قد تقود إلى انهيارها هو الإصلاح بكل أشكاله السياسية والإقتصادية والتعليمية والقضائية والعسكرية.

ومن المعروف أن الدولة العثمانية التي بدت قوية في القرون الأولى لنشأتها ظلت تتغنى بأمجاد فترة قوتها دون أن تأخذ بأسباب الحفاظ على تلك القوة من خلال تبني برامج إصلاحية كلما دعت الضرورة إلى ذلك؛ فلقد كانت هناك محاولات إصلاحية قام بها بعض السلاطين مثل السلطان سليم الثالث (١٧٨٩م - ١٨٠٧م)، والسلطان محمود الثاني (١٨٠٨ م - ١٨٣٩م)، والسلطان عبدالمجيد الأول (١٨٣٩م - ١٨٦١م) . إلا أن بعضهم دفع حياته ثمناً لطموحاته الإصلاحية تلك على أيدي القوى المعارضة للإصلاح، خاصة المؤسستين: العسكرية الإنكشارية، والدينية لتمسكهما بالأفكار القديمة الرافضة بشكل يكاد يكون مطلقاً لأي فكرة إصلاحية، حتى لو تعرضت الدولة للسقوط .

ثم إن هناك عاملا آخر مهما لا بدمن الإشارة إليه هنا، وذلك هو ما كانت تمارسه الدول الأوروبية من ضغوط على الدولة العثمانية كالتدخل في شؤونها الداخلية بإسم دفعها نحو الإصلاح، والضغوط العسكرية المتمثلة في إقتطاع أطراف الدولة طرفاً بعد آخر مستغلة ضعفها وعدم قدرتها على المواجهة، هذه الظروف -مجتمعة- واجهت السلطان عبدالحميد منذ السنوات الأولى لحكمه فلقد أذعن في بداية الأمر لرغبة الإصلاحيين،

وتبنى مبدأ الحكم بالدستور الذي عمل الإصلاحيون على تبنيه إبان فترة حكم السلطان عبدالعزيز الذي اتخذ منه موقفاً معارضاً، وفرق شمل قادة الإصلاح، وعطل الدستور، لكنه فيما يبدو، قد دفع هو ثمن رفضه للإصلاح، على عكس أسلافه الذين دفعوا حياتهم بسبب تبنيهم لمحاولات الإصلاح.

لم يكن السلطان عبدالحميد ذلك القائد السهل. فلقد واجه كل هذه المشاكل بشجاعة فائقة؛ فقد كان يدرك أن الدولة بحاجة إلى إصلاح، لكنه إصلاح على طريقته الخاصة؛ فرفض دعوة الإصلاحيين، وألغى الدستور، ووجه إليهم تهمة المسؤولية عن مقتل عمه السلطان عبد العزيز، وشكل محكمة لمحاكمتهم، وصدرت الأحكام بإعدام بعضهم، وسجن بعضهم سجناً مؤبداً، وعلى رأسهم المصلح الكبير مدحت باشا الذي نُفِيَ إلى الطائف في الحجاز، وظل في سجنه عدد سنين إلى أن مات فيه، وقيل إنه تم التخلص منه غدراً.

كما رفض عبدالحميد التدخل الأجنبي في شؤون بلاده الداخلية، وأخذ بأسباب بناء الدولة، فأنشأ المدارس والمعاهد، والكليات المتخصصة، وأعاد بناء الجيش على أسس سليمة؛ وتبنى سياسة الجامعة الإسلامية التي تهدف إلى جمع كلمة المسلمين وعلى مختلف بلدانهم والوقوف صفاً واحداً تحت مظلة الخلافة في مواجهة الدول الاستعمارية. ولم تكن فكرة الجامعة الإسلامية لتقتصر على المواطنين العثمانيين فحسب، بل شملت كل بلاد المسلمين، بما فيها تلك التي استولت عليها الدول الاستعمارية بالقوة في الهند، وأندونيسيا، وشمال أفريقيا، ومصر، وسواحل الجزيرة العربية. وعُوِّل على نجاح مشروعه هذا في استقطاب العنصر العربي، لأن العرب هم

سنام الإسلام؛ كما حاول إصلاح أحوال الإيالات العربية مستقطباً رجالاتها المستتيرين الراغبين في الإصلاح، لكن بشروط السلطان: لا دستور، لا مجلس نيابي، لاصحافة حرة، ولا للحد من سلطة السلطان المطلقة. ولكن للحق والإنصاف أنه كان راغباً صادقاً في إعادة بناء دولته على أسس قوية، وكان يملك المؤهلات الشخصية، لكن محاولاته جاءت متأخرة رغم أكثر من ثلاثين سنة مكثها في الحكم قبل الإطاحة به على أيدي رجال الاتحاد والترقي؛ فحاول بكل الطرق إصلاح ماأفسده الزمن على مدى قرون.

وكان ضمن القادة والزعماء العرب المتنورين الذين استقطبهم السلطان عبدالحميد : المصلح التونسي الكبير خير الدين التونسي، وعزت باشا العابد من سوريا، وكاظم باشا من العراق، وفضل بن علوي من جنوب اليمن، وأحمد ابن عبد الخالق الحفظي من عسير، وعبدالله ظافر من ليبيا، وعبدالله بن ثنيان باشا آل سعود من نجد، وشريف باشا من كرد العراق، وأسعد باشا من أعيان المدينة المنورة، وبعض أصحاب الطرق الصوفية الموغلة في أفكار وأوهام أبعد ما تكون عن ملامسة الواقع مثل أبو الهدي الصيادي ، وكان الأخير -كما تشير بعض- المصادر قد لعب دوراً في المباعدة بين السلطان وبعض المصلحين مثل المصلح الكبير عبدالرحمن الكواكبي، وغيره من الغيورين على مصلحة الدولة، والحفاظ على كيانها ووحدتها، واستغل نفوذه -بحكم قربه الشديد من السلطان، وقوة تأثيره عليه- فبسبب هذه الحظوة قَرّب من شاء وأبعد من شاء من بلاط السلطان، حتى أصبح السلطان في السنوات الأخيرة من حكمه محاطاً بعدد من النفعيين عديمي الكفاءة، وأصبحت إستانبول تعج بهم. وقد وصف حالتهم عشية سقوط السلطان

على أيدي الانقلابيين أحد هؤلاء كشاهد عيان ومقرب منهم حين ضاقت بهم الأرض، وعجز البعض منهم عن الهروب بجلده من إستانبول والعودة إلى بلده. وما نهاية كبيرهم وعرابهم الشيخ السيد أبو الهدي بأحسن حال منهم. ومن حسنات الاتحاديين أنهم لم يكونوا دمويين في تصفية رجال العهد القديم قياساً بقيادة الثورات الذين يتلذذون بسفك الدماء، حتى بلغ بهم الأمر أن سفكوا دماء بعضهم؛ إذا استثنينا ما قام به أحد أركان قادة الانقلاب الاتحاي (جمال باشا) في بلاد الشام قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى وأثناءها من بطش غير مبرر بأحرار الشام.

وبما أن هذه الورقة العلمية ستركز -بشكل أكثر تحديداً- على الإصلاحات العمرانية في الإيالات أو الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد الذي رأى أن مستقبل قوة دولته يكمن في الاهتمام بالولايات الشرقية من المملكة العثمانية مثل ولاية الشام، والعراق، واليمن، والحجاز، وبينهما متصرفية عسير، ومتصرفية نجد الأحساء المضاف إليها قطر، هذه المناطق التي ما زالت في منأى من امتداد النفوذ الأجنبي. ولعل هذا الاهتمام من قبل الدولة العثمانية بهذه المناطق نتج عَمّا تعرضت له مناطق نفوذها في منطقة البلقان وفقدانها سيطرتها عليها بعد أن نالت معظم تلك الإيالات استقلالها بعد ثورات عنيفة من قبل مواطنيها ودعم قوي لها من قبل روسيا العدو التقليدي للدولة العثمانية، حينما تمكنت روسيا، بدورها، من التهام العديد من مناطق نفوذ الدولة العثمانية في منطقة البحر الأسود، وفي وسط آسيا مناطق القوقاز وفقدان الدولة ممتلكاتها في كل من الجزائر، ومصر، وقبرص، واستيلاء بريطانيا على السواحل الجنوبية

والشرقية من جزيرة العرب، وخوفها (الدولة) من تمادي بريطانيا في مزيد من التوسع على حساب ممتلكاتها ونفوذها في ولاياتها الشرقية.

من أجل هذا تبنت الدولة كثيرا من الخطط لإصلاح هذه الولايات وكانت ولاية الحجاز تمثل القلب من حيث الأهمية الروحية والمعنوية لقوة الدولة وشرعية نظامها الخلافي لذا أولت ولاية الحجاز كثيرا من الخطط الإصلاحية، كما حرصت على سلامة الحجاز وأمنه من الأخطار، خاصة من أي تهديد خارجي، وكانت تعد تقوية أمن وسلامة الولايات المحيطة مثل ولايتي اليمن والعراق من مقومات سلامة وأمن الحجاز. كذلك أولت أمن البحر الأحمر أولوية قصوى، لأن أمنه مرتبط بأمن الحجاز، بل تجاوزت في اهتمامها بأمن البحر الأحمر إلى محاولات عديدة في أن يكون لها موطيء قدم في الطرف الأفريقي المحاذي للبحر الأحمر، مستعيدة بذلك عصر قوتها يوم أن حولت البحر الأحمر إلى شبه بحر مغلق تحت سيطرتها الكاملة.

وكانت الدولة قد مرت بمراحل ضعف طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر أدى هذا الضعف إلى إهمال الاهتمام بولاياتها الشرقية، خاصة اليمن الذي انفصل عن حكمها منذ وقت مبكر، ثم ما لبثت بعد فتح قناة السويس ١٨٦٩م، واستعادة الدولة شيئا من عافيتها مع بزوغ فجر الإصلاحات والتخلص من قوة الإنكشارية، وإعادة بناء قواتها المسلحة على أسس جديدة نتيجة انفتاحها على الغرب وفقدانها كثيرا من ممتلكاتها في الجانب الأوروبي ورغبتها في التعويض عنها بتوجيه اهتمامها بولاياتها الشرقية. لكل هذه الأسباب استعادت الدولة سيطرتها

على اليمن سيطرة كاملة في عام ١٨٧٢م، بعد أن تخلصت من عقبة كأداء كانت تقف في طريق استعادة سيطرتها على اليمن في محاولات عديدة؛ تلك العقبة متمثلة في إمارة عسير الشابة التي ما إن تخلصت منها الدولة قبل إعادة فتح اليمن بأقل من سنة حتى تمكنت من استعادة سيطرتها على أهم جزء من الساحل العربي على الخليج العربي، تلك هي منطقة الأحساء، والقطيف، وقطر، وأصبحت الدولة العثمانية بعد أن أنهكتها الحرب الأهلية قوة إمارة نجد، وتدخل قوى مختلفة، وظروف مختلفة على سقوط الدولة السعودية الثانية تطالب بحقها التاريخي والشرعي في بسط سيطرتها على بقية سواحل الخليج العربي التي أصبحت -بحكم الأمر الواقع- تحت النفوذ البريطاني.

قامت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد بعدة إصلاحات إنشائية معمارية مهمة في هذه الولايات. ففي ولاية الحجاز -مثلاً- اهتمت في بداية الأمر ببناء مقار لإدارات الدولة مثل المقر الرسمي للإدارات الحكومية في مكة المكرمة الذي أطلق عليه بعد إنجازه بشكله الفاخر الذي يظهر في الشكل (ص ٦) اسم الحميدية نسبة إلى السلطان عبد الحميد؛ وظل هذا البناء مقر للحكومات المتعاقبة على حكم مكة إلى العهد السعودي حيث أصبح مقر نائب جلالة الملك عبد العزيز في حكم الحجاز ، الأمير فيصل بن عبد العزيز -الملك فيما بعد-، وسمى النيابة، وكان به مقر أول مجلس للشورى في المملكة العربية السعودية، وظل مبنى الحميدية مقر الحكومة إلى حين بداية التوسعة الكبيرة في الحرم المكي، حينما دخل ضمن التوسعة في عام ١٩٥٦م في عهد الملك سعود بن عبد العزيز؛ إضافة إلى

بناء عدد من القلاع، والمدارس، والمعاهد، والمكتبات، ومستشفى، وبناء كبير لإيواء الغرباء «مسافر خانة» كما تظهره الصورة في الشكل رقم (   )، ومقر مطبعة جريدة الحجاز التي صدرت في العهد الحميدي. أما قلعة جياد التي دار حولها جدل في السنوات الأخيرة حينما أدخلت ضمن أوقاف الحرمين الشريفين وبناء وقف ضخم على أنقاضها لحسابهما فلم يكن بناؤها يعود للعهد العثماني.

وفي مدينة جدة أقيمت منشآت عمرانية كثيرة،أهمها بناء شبكات واسعة من المواسير لإيصال الماء من مكان بعيد عن جدة لسد حاجة المدينة لأهم مورد تفتقر إليه، وسمي المشروع بالحميدية نسبة للسلطان عبد الحميد، وأحياناً بالوزيرية نسبة إلى الوزير الوالي عثمان نوري باشا، والي الحجاز، كما أقيمت أول محطة لتحلية المياه في جدة وسميت الكنداسة أقيمت في عهد السلطان عبد الحميد إضافة إلى بناء كثير من المدارس وتوصيل جدة بكيبل بحري للاتصالات مع البلدان المجاورة.

كما أقيمت قلعة أو قشلة عسكرية كبيرة في مدينة جدة، وكانت إلى عهد قريب من إزالتها تشكل أحد أهم معالم مدينة جدة التاريخية؛ مثلها مثل قلعة الطائف التي كانت أبرز معلم من معالم الطائف التاريخية، وأول مقر لوزارة الدفاع السعودية، بنيت في العهد الحميدي؛ وبإزالتها وتحويل مقرها إلى مجمع حكومي فقدت الطائف أحد معالمها، إضافة إلى أنها كانت مقر سجن المصلح الكبير أحمد مدحت باشا الذي توفي أو قتل فيها وهو يقضي عقوبة الحكم عليه بالسجن المؤبد. -كما سبقت الإشارة إليه-.

أقيم معظم هذه المعالم وغيرها مما لا يمكن حصره في عهد الوالي

عثمان نوري باشا الذي تولى ولاية الحجاز في عام ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، (انظر صورته في الصور المعروضة)؛ وأنشئ عهده كثير من هذه المعالم المعمارية. ويعد نوري باشا من الولاة الذين تركوا لهم في كل ولاية تولى أمرها من الآثار العظيمة ماجعله في مصاف الولاة الكبار فكان نجاحه في ولاية الحجاز ما جعله مكان ثقة السلطان عبد الحميد حينما عهد إليه بولاية اليمن في عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، يوم كان اليمن يشهد كثيرا من القلاقل وعدم الاستقرار. فشهد عهده إقامة كثير من المنشآت التي تظهر بعضها الصور التي تم عرضها في ثنايا هذا البحث (ملف صور اليمن). ولسمعته الحسنة أثناء وجوده في ولاية الحجاز وبداية عهده في ولاية اليمن امتدحه أحد الشعراء اليمنيين الذي علق عليه آمالاً كبيرة لإصلاح أحوال اليمن. انظر قصيدة الشاعر اليمني الذي وقع قصيدته باسم الأنصاري اليمني[1].

من ملفات صور هذا البحث (ص ٥١)

اهتم هذا الوالي ببناء القلاع في اليمن، وكذلك الدور الصحية، ومقار لإيواء الغرباء (مسافر خانة)، ومستشفى لعلاج ما سمي الأمراض الأجنبية. وأهم من ذلك أقام أول مدرسة للصنائع هي واحدة من عدد قليل من هذه المدارس التي أنشئت بالولايات الشرقية، وبعض المقار الحكومية في صنعاء التي تعود للعهد الحميدي (انظر صورتها ضمن صور ملف صنعاء)، مع تلك المعالم التذكارية التي أقيمت على بعض مداخل مدينة صنعاء التي

(١) أصل نص القصيدة كاملاً بخط يد الشاعر في مكتبة مركز آل زلفة الثقافي والحضاري.

تظهرها بعض الصور في طور الإنشاء ولا أعرف مدى بقائها أو متى أزيلت إذا كانت قد تعرضت للإزالة مثلها مثل كثير من الآثار العثمانية، فلم أجد لها صوراً، ولم أقرأ لها ذكراً في كتاب ضخم أعده عدد من كبار المؤرخين والمعماريين الأوروبيين نشر في كمبريدج تحت إشراف أستاذي الراحل البروفسور ر.ب. سار جنت عن العمارة في مدينة صنعاء على مدى تاريخها كان أضعف فصل في هذا الكتاب ما يتعلق بأثر العمارة العثمانية في هذه المدينة التاريخية. ربما يعود هذا إلى عدم مشاركة متخصص في تاريخ الفترة العثمانية ضمن المشاركين في إعداد هذا العمل الكبير[1] . في العهد الحميدي أقيم مشروع ميناء كبير في مدينة الحديدة على ساحل البحر الأحمر تعاقدت الدولة العثمانية مع شركة إيطالية لإقامته حسب مواصفات متقدمة أرادت الدولة، بذلك، أن تجلب التجارة، مرة أخرى، إلى الموانئ اليمنية ومنها الحديدة والمخا حيث فقد هذان الميناءان الميناءين أهميتهما أمام تنامي ميناء عدن تحت الحكم البريطاني الذي تحولت إليه كل تجارة اليمن، وأصبح من أهم المحطات البحرية التجارية على خط الملاحة الدولي شرق غرب.

كما تم اقتراح ربط موانئ ساحل البحر الأحمر بخط بحري يبدأ من أول نقطة في شمال الحجاز، وينتهي في آخر نقطة في الحدود البحرية اليمنية، وقدم بذلك مشروعا، ووضعت آليات تنفيذه. كما كان هناك مشروع وضعت كامل دراسته، وذلك بمد خط الحديد الحجازي الذي توقف بالمدينة

(1) Sana anarabian Islamic city. Edited boy R B Serjeant and Ronald lewcock, london

المنورة، كما سيأتي الحديث عنه ليمتد إلى الحديدة في اليمن، ثم يمتد مخترقاً جبال اليمن العالية إلى صنعاء، ومنها إلى صعدة، فنجران، ثم أبها في منطقة عسير، ثم إلى الحجاز.(١) هذا التصور الرائع الذي فكر فيه رجال تلك المرحلة هو ما لم يفكر فيه رجال هذا العصر؛ ولقد شاهدت بعيني أكوام الحديد في الطرف الشمالي لمدينة الحديدة(٢) حيث كان يعد للشروع في بناء خط الحديد المزمع إقامته ليربط الحديدة بصنعاء.

وفكرة هذه المشاريع والتقارير التي أعدت حولها من رجالات الدولة في العهد الحميدي ستظهر في المجلدات الخاصة بوثائق تاريخ الحجاز، وعسير، واليمن، والبحر الأحمر التي أوشكت على الانتهاء منها وإعدادها للنشر -بحول الله-.

وهناك كثير من المنشآت العمرانية التي أقيمت في كل من أبها عاصمة عسير خلال هذه الفترة أبرزها بناء جسر محكم البنيان يربط شمال المدينة بجنوبها على وادي أبها الكبير الذي يفصل المدينة إلى قسمين، وما زال أحد أبرز معالم المدنية إلى اليوم. أما بقية الآثار العمرانية، فقد أزيل معظمها أمام تطور المدينة واتساع عمرانها، من ناحية وعدم إدراك البعض لأهمية المعالم التاريخية للمدن من ناحية أخرى. وربما تعرض زميلي الدكتور سعيد مفرح -الذي يشارك في هذه الندوة بورقة عن الشؤون الصحية

---

(١) تقرير شامل عن أحوال الجزيرة العربية وضوروة تنميتها في أواخر عهد السلطان عبدالحميد أعده الياس زاده عبدالرحمن من أهالي المدينة المنورة بتكليف من الدولة التقرير محفوظ في أرشيف رئاسة الوزارء استانبول تحت رقم DVI.UM1332.7.3

(٢) أثناء زيارتي الأولى للحديدة في مطلع عام ١٩٨٠م.

في متصرفية عسير خلال الفترة الحميدية- إلى بعض ما كان قائماً من المنشآت الصحية في مدينة أبها.

وهناك آثار لبقايا قلاع وأبراج اتصالات تلغرافية في ميناء العقير إلى الشرق من مدينة الأحساء على الخليج العربي، ومباني مستودعات تعود إلى العهد الحميدي. وكان الأبرز من الآثار العمرانية التي تعود إلى العهد الحميدي في الأحساء حاضرة شرق الجزيرة العربية ومقر متصرفية نجد سوق الحميدية نسبة إلى السلطان عبدالحميد، وكان من أكبر الأسواق في وسط وشرق جزيرة العرب بكل أسف هذا السوق تعرض لحريق مدمر قبل سنوات عدة، وبهذا فقدت الأحساء أحد أهم معالمها التاريخية ومراكزها التجارية[1].

ولاية بغداد

هذه الولاية التي احتلت مكانة مرموقة في تاريخ الدولة العثمانية، وضحت الدولة العثمانية منذ بداية تكوينها بمئات الآلاف من أبنائها في الدفاع عن العراق وولاياته الثلاث ولاية بغداد وهي القلب، والموصل في الشمال، والبصرة في الجنوب، وكان من فضل الدولة العثمانية أن حافظت على وحدة العراق وهويته العربية، لأن الحكم العثماني لم يكن حكماً متعصباً يعمل على طمس هوية الأقطار التي خضعت لحكمه لا في هويته القومية

(١) أعادت الحكومة السعودية بناء هذا السوق بنفس المواصفات التي كان عليه قبل الحريق، وتم افتتاحه رسمياً مؤخراً. ويذكر الرحالة وليام بلجريف الذي زار الأحساء عام ١٨٦٢م بأن هذا السوق كان قائماً ببنائه المتميز وربما كان سوقاً غير سوق الحميدية الذي ينسب إلى إسم بانيه السلطان عبدالحميد الثاني.

ولا في انتماء أهله المذهبي مع أن مذهب الدولة الرسمي هو الحنفي، ولكنها لم ترغم أحداً على التخلي عن مذهبه واتباع مذهب الدولة الرسمي. فالشافعي والزيدي في اليمن ظل كل منهما على مذهبه، بل كان للوجود العثماني دور في منع الحساسيات المذهبية وما كان يدور من خلافات بين أتباع المذهبين قبل الوجود العثماني وما عاد إليه -إلى حد ما- بعد زوال الوجود العثماني بنهاية الحرب العالمية الأولى. وإلى جانب المذهبين الشافعي والزيدي كان يوجد المذهب الإسماعيلي، وأتباع الديانةاليهودية، وكان الجميع يعيشون بسلام.

اهتمت الدولة العثمانية بولايات العراق الثلاث، ولكن اهتمامها كان أكثر وضوحاً ببغداد. ففي العهد الحميدي بنت الدولة كثيراً من المشاريع ذات الطبيعة الإنتاجية كالمشاريع الزراعية وإقامة السدود والجسور؛ ولعل أبرز هذه المشاريع مشروع الهنداوية التي تظهر الصور المصاحبة لهذه الورقة لقطات من العمل الجاري -حينذاك- في هذا المشروع الإنمائي الكبير.

كما اهتمت الدولة بإعداد الكوادر البشرية من خلال تبني سياسة تعليمية شاملة في مختلف المجالات . فقد أنشأت مدرسة أو كلية عسكرية تضاهي الكلية الحربية في إستانبول تخرجت منها كوادر عسكرية بارزة في صفوف الجيش العثماني، وأصبح بعضهم من كبار قادة الثورة العربية وتظهر الصورة المصاحبة نماذج لقادة وطلاب تلك الكلية، كما أنشئت في بغداد كلية للحقوق وعدد من المدارس الابتدائية والمتوسطة (رشدية) والثانوية. وتشمل الجنسين الذكور والإناث، كما شجعت الدولة التعليم

في مدينة النجف، وتظهر الصور المصاحبة الطلاب والمعلمين بملابسهم التقليدية في تلك المدرسة.

كما اهتمت الدولة بشق الترع وبناء الأسواق والشوارع المنظمة؛ وفيما نعرضه من صور دليل على حالة بغداد الحضارية ومن أبرز شوارعها المعروفة شارع الرشيد كما تظهر الصورة مقاهي بغداد على ضفاف دجلة المتميزة بنوعية مقاعدها والبيوت البغدادية المتميزة بطرازها المعماري النادر. كما تظهر الصور أسواق بغداد على الضفة الغربية لنهر دجلة، ونقل التجارة على الجمال بواسطة الجمّالة من البادية بملابسهم العربية وهم ينقلون تجارتهم إلى داخل الجزيرة العربية.

أما البصرة فلها مما نعرضه من صور نصيب أيضاً، تظهر مبانيها على ضفاف جداول نهر العشار، وقوارب الأنهار تنقل المواطنين من جهة إلى أخرى خاصة أن البصرة -المدينة التجارية العريقة- هي ميناء العراق الوحيد على رأس الخليج وشط العرب.

ولاية الشام ولاية بيروت متصرفية جبل لبنان طرابلس الشام

أولت الدولة العثمانية ولاية الشام اهتماما كبيراً فكانت أول منطقة عربية تنضوي تحت الحكم العثماني ومنها كانت انطلاقتها للاستيلاء على مصر في عهد السلطان سليم الأول ١٥١٧م.

ولم تخرج أو تستقل ولاية الشام من النفوذ العثماني إلا خلال فترة بسيطة هي فترة الحكم المصري لبلاد الشام في عهد محمد علي باشا الذي أُجبر على الانسحاب منها لصالح الدولة العثمانية عام ١٨٤٠م. منذ هذا التاريخ

أحكمت الدولة العثمانية قبضتها على بلاد الشام، فحكمتها حكماً مباشرةً مرتبطاً -بشدة- بالحكومة المركزية في إستانبول، ومقر الجيش السابع العثماني، وكانت ولاية الشام، ولاية سوريا قد تفرعت منها ولاية بيروت، ولاية حلب، ومتصرفية جبل لبنان، ومتصرفية القدس وسناجق والألوية وأقضية ونواح مختلفة، ليس هذا موضوعنا حتى ندخل في تفاصيله، وإنما الذي يهمنا البحث أو إلقاء الضوء على المآثر العمرانية العثمانية في هذه المناطق في عهد السلطان عبد الحميد.

بدون شك أن النهضة التي شهدتها ولايات بلاد الشام المذكورة أعلاه التي كانت تمثل انطلاقتها النهضوية العمرانية، والتعليمية، والصحية، والإدارية، والقضائية، وفي ميدان المواصلات ما بعد سقوط أو غروب شمس الدولة العثمانية؛ من هذه المناطق يعود الفضل فيه إلى ما حققته من إنجازات في كافة الميادين في أواخر العهد العثماني بخاصة الفترة الحميدية.

ففي عهد السلطان عبد الحميد عمت بلاد الشام شبكة من المواصلات المتقدمة بدأت بالطريق الواصل بين دمشق وبيروت الذي كانت تستخدم فيه الخيل في جر عرباته إلى حين حل محله القطار الذي بدأ تدشينه قبيل نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ثم إدخال وسيلة نقل «الترومايات» لتعم معظم مدن الشام ولبنان، بيروت وطرابلس. (انظر الصور المصاحبة لعرض هذه الورقة ص ٣٤).

قامت الدولة العثمانية ببناء ميناء بيروت حتى أصبح من أهم موانئ بلاد الشام على البحر الأبيض المتوسط. (انظر صورة ميناء بيروت عند الفراغ من بنائه)، وكذلك قامت ببناء الميادين وزينتها بالمظاهر الحضارية

من ساعات ضخمة، وخزانات مائية بأبنية جميلة، ونصب تذكارية. (انظر صور دمشق وبيروت وطرابلس).

كما تولت الدولة إقامة مقار متميزة للسرايات الحكومية في كل من بيروت ودمشق وجبل لبنان.

ولعل من أبرز المظاهر العمرانية في قلب العاصمة دمشق سوق الحميدية المنسوب إلى السلطان عبد الحميد الذي يعد من أهم المعالم الحضارية لهذه المدينة الخالدة، طبعاً، إلى جانب المعلم الدمشقي الإسلامي الخالد المسجد الأموي الذي اُعْتُني بصيانته من قبل الحكومات العثمانية المتتابعة على مدى حكم آل عثمان لهذه المنطقة. (أنظر الصورة للمسجد الأموي تعود إلى العهد الحميدي).

واهتمام الدولة العثمانية بمتصرفية القدس، وصيانة مساجدها كالمسجد الأقصى، ومسجد الصخرة، وغير ذلك من الآثار الإسلامية في هذه المدينة المقدسة، بل كانت تسهم في صيانة المقدسات التابعة لأصحاب الديانات الأخرى . (انظر الصورة التي تعود للعهد الحميدي تعبر عن حق الجميع في ممارسة شعائرهم) .

خط الحديد الحجازي :

إذا كان للسلطان عبد الحميد كثير من المنجزات يفرض الواجب والموضوعية علينا ذكرها فإن خط الحديد الحجازي يعد واحداً من أبرز منجزاته التي سيسجلها له التاريخ بأحرف من نور، حتى وإن عُطِّلَ هذا الخط ودُمِّرت كثير من أجزائه بعد خمس سنوات فقط من إنشائه ولا يزال

معطلاً على مدى أكثر من تسعة عقود. إن هذا يثبت أن السلطان عبد الحميد، كان أكثر تنويراً ووعياً بمصلحة أمته ووطنه ممن يتولى أمر البلدان التي يمر الخط من خلال أراضيها في هذا الزمان.

كانت فترة حكم السلطان عبد الحميد والفترة البسيطة التي سبقته فترة التفكير في إقامة البنى التحتية التي كانت تفتقر إليها الدولة العثمانية بشكل لافت مما جعل الدولة -بحكم أهميتها واتساع مساحتها وضخامة إمكاناتها التي لم تستغل- من أكثر الدول تخلفاً وكل العالم من حولها يتقدم، والطغمة القابضة على أزمة الأمور في دولة الخلافة تنظر إلى أن أسباب التقدم تهديداً لأمنها وسلامتها، وتعريض ثوابتها الدينية للخطر. ومشكلة هؤلاء أنهم انقطعوا عن فهم دينهم الصحيح الذي يدعو إلى أن العلم قوة وأغمضوا أعينهم، وصموا آذانهم عن ما يحدث حولهم في العالم من تطور، واكتفوا بذم الأمم المتقدمة في مجال العلوم والدعاء عليهم من منابر ومآذن المساجد،، واعتقدوا أنهم بهذا الدعاء ينتصرون على الخصوم الذين بالعلم ومعطياته قطعوا أوصال الدولة، واحتلوا كثيرا من أقطارها قطراً تلو قطر.

وكانوا كلما قام فيهم مصلح اغتالوه، أو سحلوه، أو نفوه من الأرض، ولكن مهما تعرض المصلحون المحبون لوطنهم من أنواع الأذى فإن رؤاهم وأصواتهم تظل هي النبراس الذي ينير للأمة طريقها وربما يدرك أعداء الإصلاح خطورة مايناصحون به دعاة الإصلاح من عداء ولكن ربما يأتي هذا الإدراك متأخراً.

وهذا بالفعل ما حدث للدولة العثمانية، إذ وجدت نفسها، فجأة، تفتقر

إلى كل شيء يساعدها على النهوض؛ فلا بنية تحتية، ولا مصادر مالية دائمة وثابتة، ولا رجال يملكون الكفاءة والمعرفة. إذاً والحالة هذه لم يكن لهم بد من الاعتماد على الغير من إعادة بناء دولتهم، ولكن الاستعانة بالآخر والأمة في حالة ضعف له أخطاره. فتحت الدولة الأبواب للخبراء الأجانب، ومنحت الامتيازات للشركات الأجنبية، وفتحت الأبواب لأبنائها للذهاب للتعلم في بلدان الدول المتقدمة وسيكون لكل هذا ضريبته كان نتيجته أن الدولة أخذت بهذه الأسباب متأخرة في زمن لا مكان للمتأخر فيه إلا الزوال.

أدرك السلطان عبدالحميد، الذي استعانت حكومته بالخبرة الأجنبية والمال الأجنبي في بناء الطرق الحديدية وغيرها من البنى التحتية، أن مشروع خط الحديد الحجازي مشروع مختلف من المشروعات التي أقامتها الدولة في مناطق مختلفة من ولاياتها، وأنه إلى العمل الخيري أقرب منه إلى أي شيء آخر، ويجب أن ينفذ بالكلية بمال عثماني إسلامي، وأن يعتمد في بنائيه على العنصر البشري العثماني بقدر الإمكان. ولذلك جعل إنجاز هذا المشروع مركز اهتمامه ومتابعته الشخصية، وشكل هيئة عليا من خيار رجال الدولة، العسكريين والمدنيين من مهندسين ومحاسبين ومساحين، وحتى صناعة الحديد اللازم لبناء هذا الخط كلف مدير عام الصناعات الحربية بأن يصنع ويصهر كل أنواع الحديد في المصانع العثمانية في استانبول. لم يفكر السلطان في المردود المالي لإقامة هذا الخط،، أو ما يسمى الجدوى الاقتصادية من إنشائه، وهذا ما كانت الشركات الأجنبية التي وقعت معها الدولة عقودا لإنشاء مشاريع مشابهة تفكر فيه.

لم تكن خزينة السلطان عامرة بالمال، بل إن الحاجة إلى المال كانت المشكلة الدائمة، لأن الدولة لم تطور مواردها، ولم تستغل إمكانات أملاكها الواسعة لجلب المال.

وقد قطع السلطان وعداً على نفسه بأنه لن يقترض قرشاً في سبيل تنفيذ هذا المشروع، وإنما سيعتمد على إمكانات شعبه، وهبة مواطنيه للتبرع في إقامة هذا العمل الخَيِّر؛ وكان هو أول المتبرعين بمبلغ أولي قدره ٣٢٠ ألف ليرة ذهبية، وأصدر إرادة سلطانية بخصم ١٠ ٪ من رواتب كل منسوبي الدولة. وتداعى المسلمون من كل قطر وبلد يتبرعون لهذا المشروع العظيم، فتبرع شاه إيران بـ ٥٠ ألف ليرة ذهبية، وتوالت التبرعات من كل مكان، وقدرت تكاليف بناء الخط بثمانية ملايين ونصف مليون ذهبية ليرة عثمانية. بدأ التنفيذ العملي للمشروع بتاريخ الأول من سبتمبر ١٩٠٠م، وصادف هذا التاريخ مرور ٢٤ سنة على تولي السلطان عبد الحميد مقاليد السلطة.

كانت القوة العاملة المشكلة للعمل في هذا المشروع ٧٠٠٠ عامل غير المهندسين الذين كانوا في طليعة الدفعات الأولى من خريجي كليات الهندسة التي أمر السلطان نفسه بفتحها، وأوائل العائدين من خريجي كليات الهندسة في الخارج من العثمانيين الذين أمر هو نفسه بابتعاثهم وكان معظم العمال غير المهرة من منسوبي قوة عسكرية شكلها لحساب العمل في هذا المشروع، وعين للإشراف على المشروع من الناحية الإدارية والمالية شخصية عسكرية عثمانية مرموقة من أبناء العراق هو الفيلد مارشال كاظم باشا، يساعده في الإشراف على المشروع من الناحية الفنية المهندس هنريك أوجست مسينير

من ألمانيا. وأشرف عليه كاظم باشا الذي عمل بكل إخلاص على هذا المشروع منذ مراحله الأولى إلى حين وصول أول رحلة إلى المدينة المنورة يوم ٢ من أغسطس عام ١٩٠٨م. فقد أقيم في ذلك اليوم احتفال مهيب يعد من أيام المدينة المنورة الخالدة، وقد استمر العمل في بناء الخط ثماني سنوات بالتمام والكمال وكان يقام احتفال سنوي في كل أول يوم من سبتمبر يتزامن مع إنجاز كل محطة أو أكثر تنجز من المشروع.

كانت محطة تبوك من المحطات المتميزة، كونها بداية دخول منطقة الحجاز، فوضع فيها محجر صحي (كرنتينة) لمعرفة سلامة الحجاج صحياً (انظر الصورة المصاحبة). لم يتعثر العمل في المشروع يوماً واحداً رغم التحديات التي واجهته، منها عدم قدرة المصانع العثمانية على تلبية طلبات واحتياجات المشروع والاستعانة أمام هذه التحديات بمنتوجات أجنبية ولضمان سلامة المشروع واستمراره أوقف السلطان العديد من الأراضي والأملاك في جميع أنحاء البلاد العثمانية لصالح المشروع؛ ترى ماذا حدث لهذه الأوقاف؟ وهل كان مصيرها مثل مصير الخط نفسه.

تزامن وصول أول رحلة للقطار مع السنة التي تولى فيها الشريف الحسين بن علي مقاليد شرافة مكة، وكان هذا الشريف متوجساً خيفة من هذا القطار، الذي اعتقد أنه يحرمه من موارد كان يجمعها على مؤجري الجمال من القبائل البدوية في الحجاز على الحجاج بين مكة والمدينة وأدخل في أذهان أولئك الأعراب الحسني النية أن وجود القطار يتعارض مع مصالحهم. فتعطل مد الخط الذي كان مخططاً له الوصول إلى مكة، بل كان في أذهان الرجال المخلصين أن يمتد إلى اليمن عبر سواحل عسير وتهامة اليمن وصولاً إلى صنعاء، ومنها إلى صعدة ونجران شرقاً، ثم إلى

أبها غرباً، وبهذا تعطل تنفيذ إكمال أهم مشروع حيوي يمكن أن تشهده الجزيرة العربية في تاريخها.

لم تكن النوايا السيئة لتحول دون تحقيق حلم إكمال مشروع خط الحديد الحجازي الذي يحيط بمعظم أنحاء الجزيرة العربية فحسب، بل قامت بتعطيل وتدمير ما أنجز خلال ثماني سنوات من البناء في ضربات سريعة بالقنابل والألغام لنسف مشروع العصر الذي اختصر الوقت انتقال حجاج بلاد الشام،، وتركيا، ومصر، ووسط آسيا من ٤٥ يوماً على ظهور الجمال تكتنفها كل الأخطار إلى خمسة أيام على وسيلة نقل مريحة وسريعة وآمنة وحضارية.



الخلاصة

إن فكرة تخصيص ندوة عن فترة حكم السلطان عبد الحميد -ماله وما عليه- هي فكرة رائدة تحتم على المؤرخين العرب والأتراك أن يعيدوا النظر في تاريخ هذا الفترة على ضوء المعطيات والمكتشفات الجديدة من المصادر التاريخية التي لم يكن من الميسور معرفتها أو الوصول إليها.

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الأمانة والمصداقية اللتين تضطلع بهما مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تجاه تاريخ أمتنا في عصورها، والخروج من قوالب الأفكار الجاهزة التي ظلت هي السلعة التي تناقلتها الأجيال عن تاريخ هذه الفترة التي لم تتغير بوصف هذه الفترة بعصر الاستبداد والظلم، والتسلط، وتكميم الأفواه، وفي كثير من هذه الأفكار مبالغة ونحن بحاجة إلى أن ندرس -بشكل موضوعي وعلمي- كل أبعاد تاريخ هذه المرحلة.

ومع هذا كله فإن ما نشهده في زمان الأنظمة العربية العسكرية الثورية، ونعيشه ونلمسه من الأحزاب المتعصبة المنغلقة لا يساوي قليلا مما قيل عن فترة حكم السلطان عبد الحميد، بل أعتقد -جازماً- أن هناك كثيرين منا من يترحم على عصر السلطان عبد الحميد.

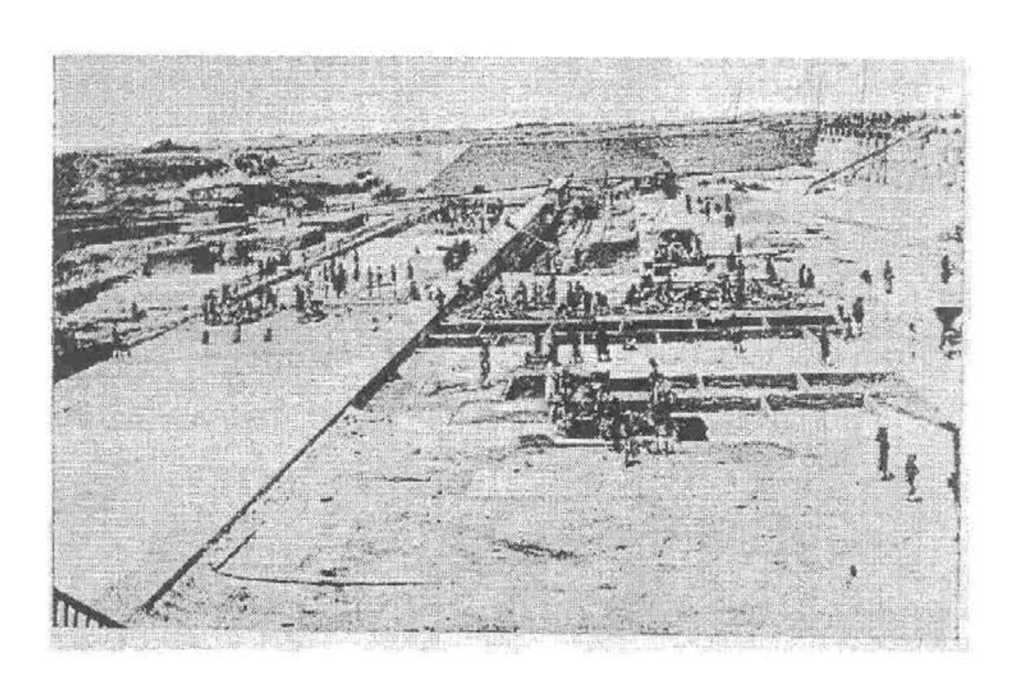
من خلال تتبعي للمنجزات العمرانية التي عرفتها الولايات العربية في عهد السلطان عبد الحميد -مع أنه تتبع يحتاج إلى مزيد من الدرس

والتوثيق -لا يسعني إلا أن أقف إجلالاً لما تم إنجازه في إمبراطورية مترامية الأطراف، وفي فترة كانت تواجه الدولة كثيرا من التحديات الداخلية والخارجية، وتشكو من شح الموارد، ومن انعدام الكفاءات البشرية المدربة في مجالات الإدارة والاقتصاد والصناعة؛ ومع ذلك فلقد كانت لها إنجازات؛ نحتاج إلى إعادة النظر في تقييمها على ضوء ما تشهده البلدان العربية التي تحولت من ولايات أو متصرفيات إلى دول لها حدود وجيوش، وأعلام، ونشيد وطني.. لكن كثيرا من هذه البلدان ما زال يشكو من ارتفاع نسبة الأمية، وتفشي الأمراض، وشيوع الفقر، وبينها وبين فترة حكم السلطان عبد الحميد أكثر من مائة سنة.

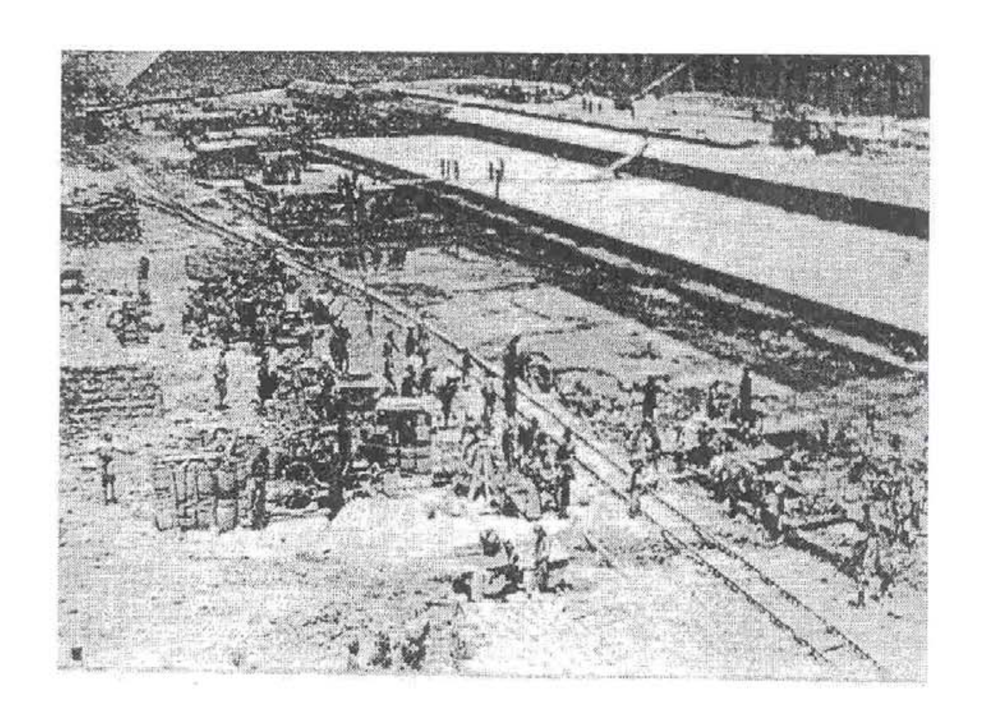
وإذ أصل إلى ختام بحثي هذا، لا أدعي أنني تمكنت من تغطية حتى قليل جداً من إنجازات هذه الفترة، وإنما أردت أن تفتح الأبواب للباحثين والباحثات في هذه القضايا التي أثيرت من خلال أبحاث ومداولات هذه الندوة العلمية، ونكون موضوعيين أمناء في إعادة تقييم فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني ماله وما عليه، موظفين كل المكتشفات الجديدة عن تاريخ هذه المرحلة، محافظين على ما تبقى من آثار منجزات الدولة العثمانية في كل الأقطار العربية، باعتبارها جزءاً من تاريخنا. فلقد كان آباؤنا وأجدادنا شركاء في صناعة تاريخ تلك المرحلة. وكذلك الحفاظ على مصادر تاريخ فترة الحكم العثماني، والاعتناء بها، وجعلها متاحة لكل الباحثين.



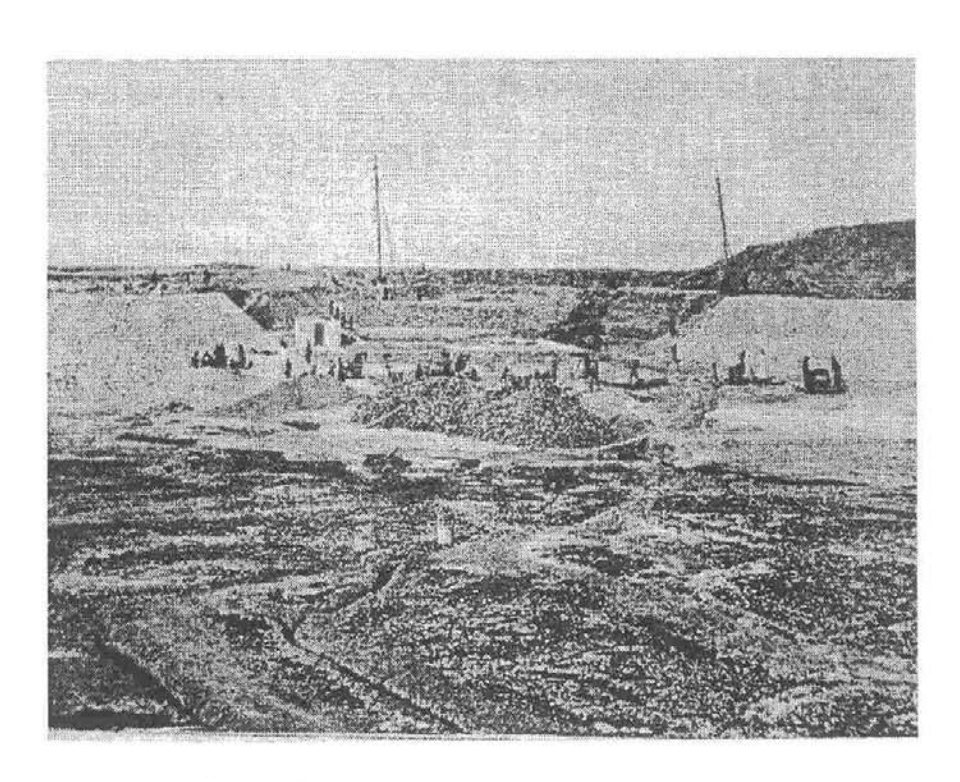
صورة لمدحت باشا أثناء ولايته لإقليم
الدانوب في أوروبا الشرقية عام 1865م



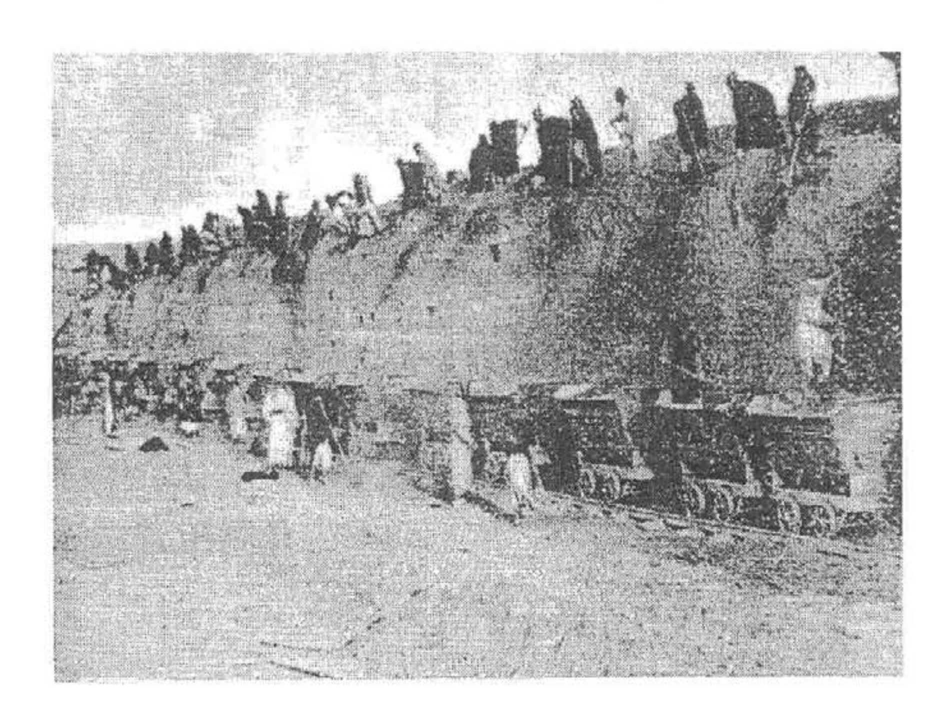
العمل في إحدى مراحل مشروع الهندسية في العراق (المصدر) شهبال



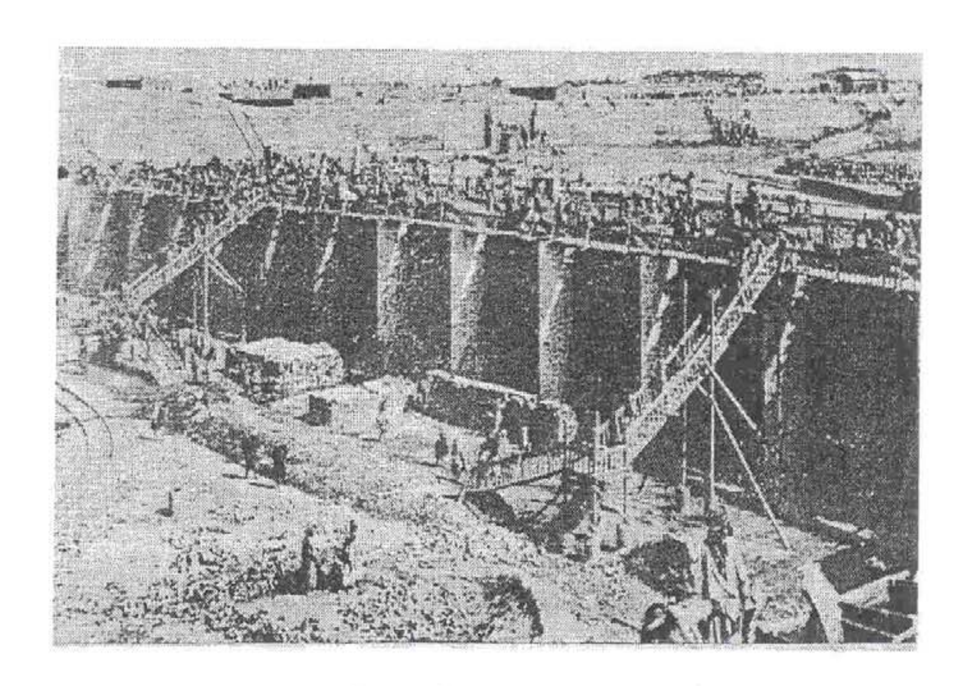
العمل في إقامة سد الهندية بالقرب من بغداد (المصدر) شهبال



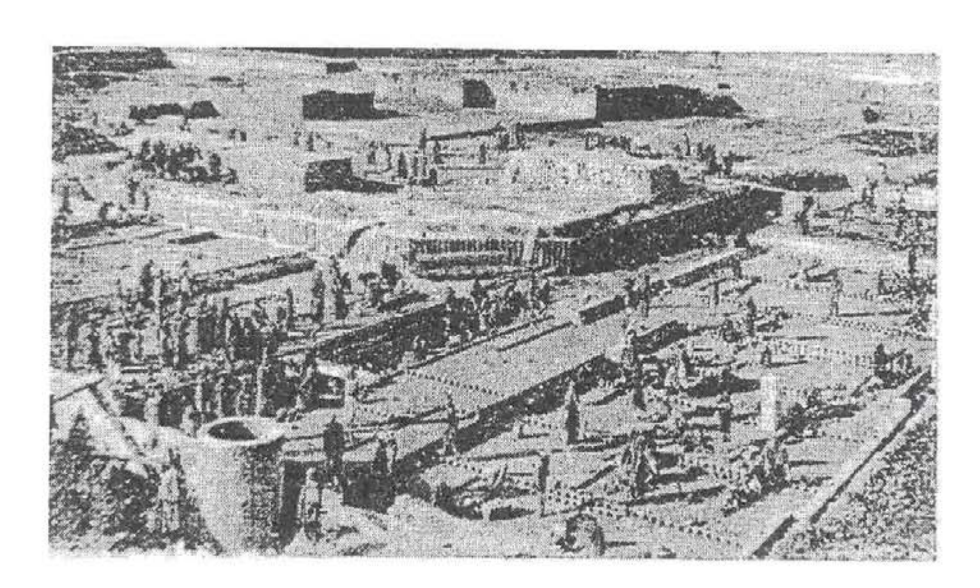
العمل في إنشاءات بالهندية بالقرب من بغداد (المصدر) شهبال



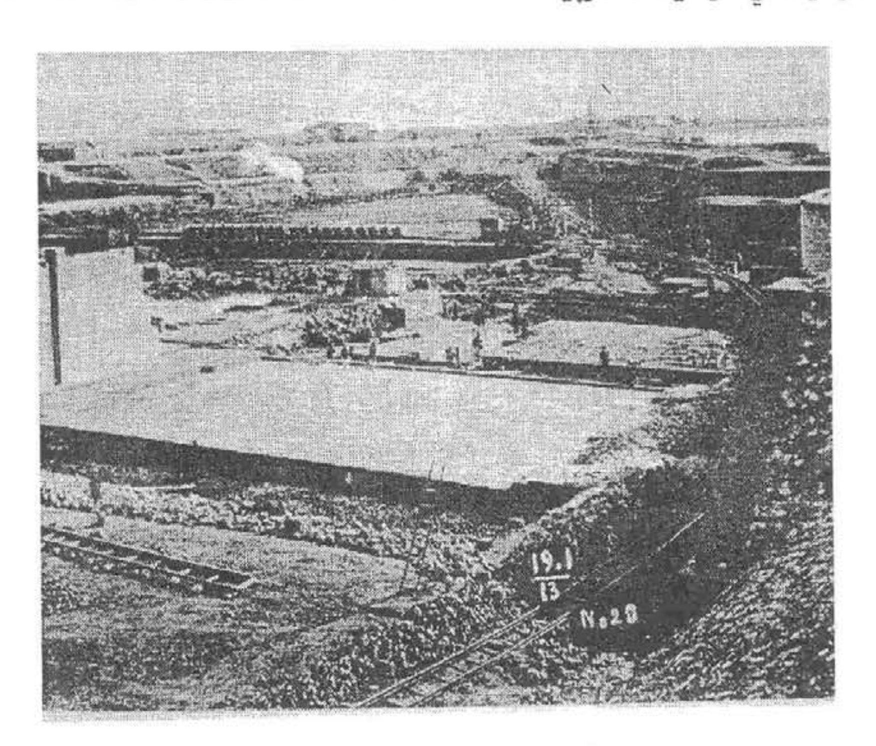
العمل في سد الهندية بالقرب من بغداد (المصدر) شهبال



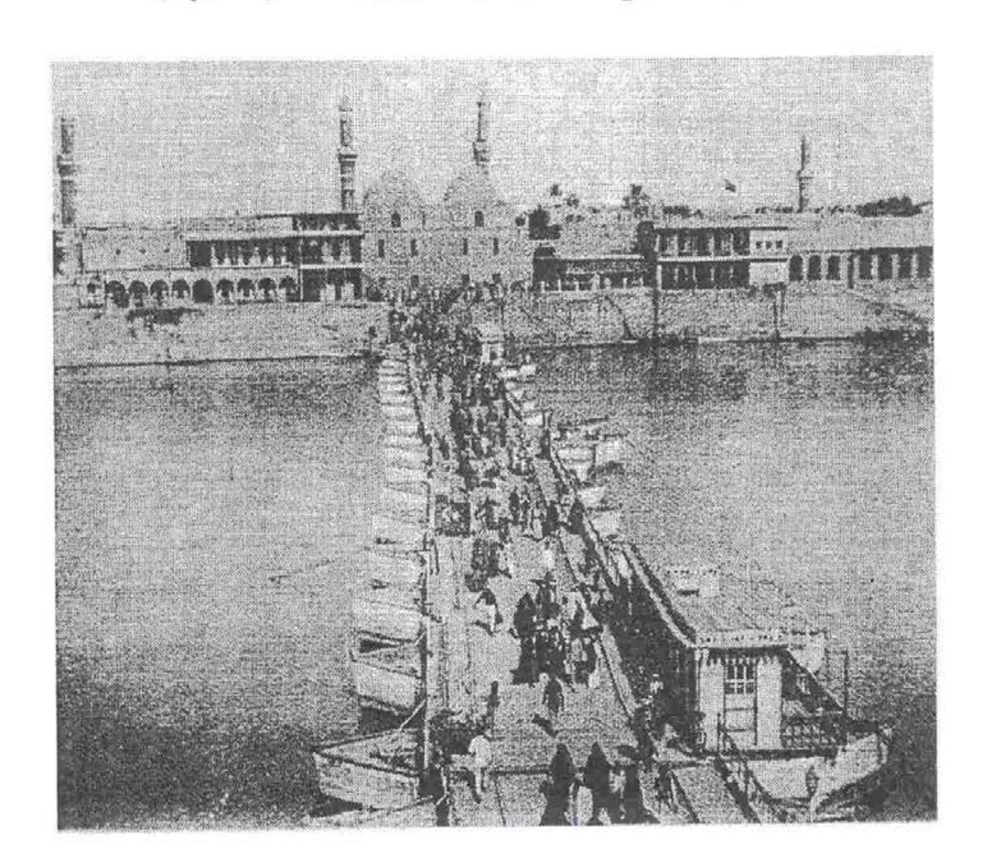
إنشاءات لإقامة سد في بغداد (المصدر) شهبال



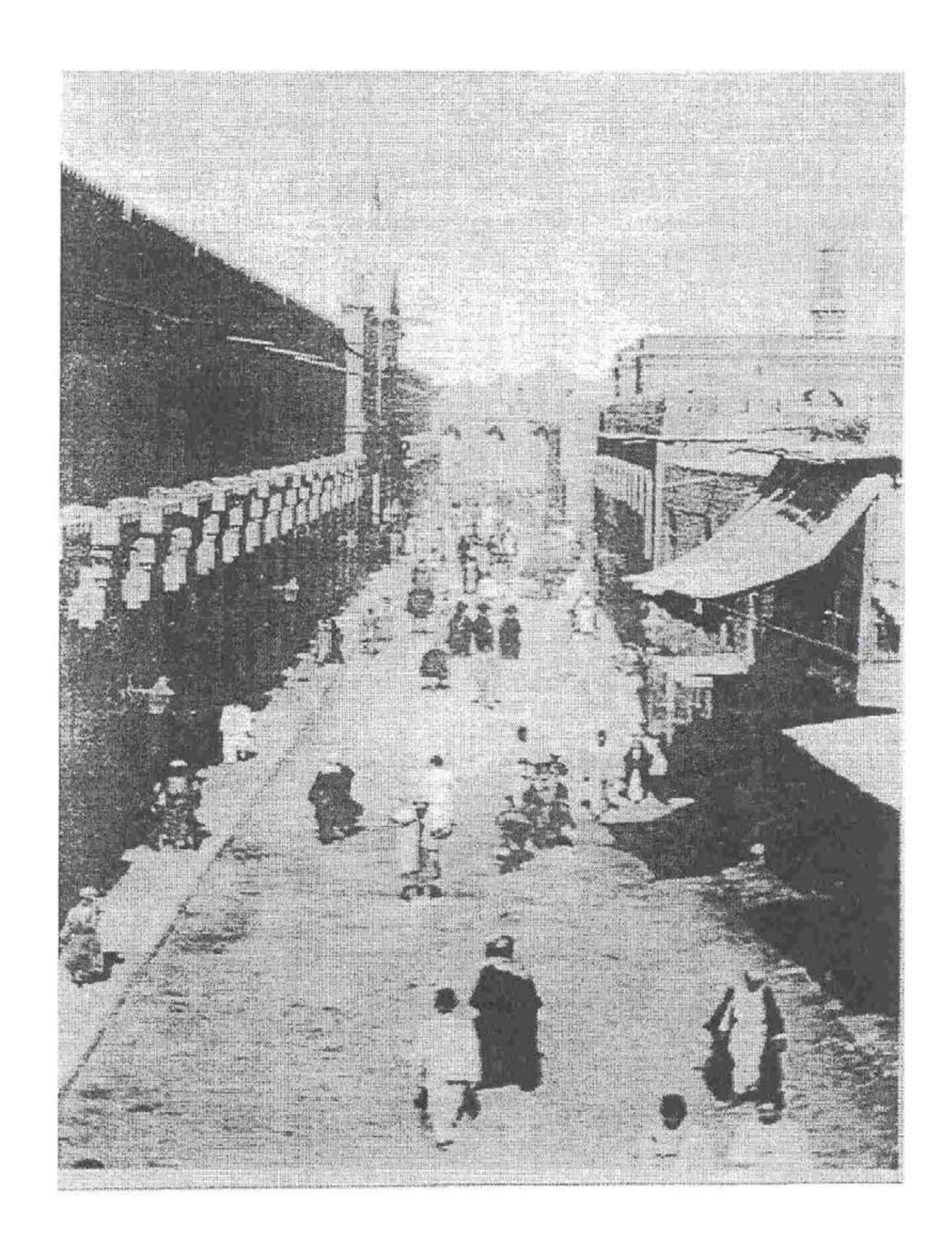
تطور العمل في إنشاءات مشروع الهندية في العراق (المصدر) شهبال



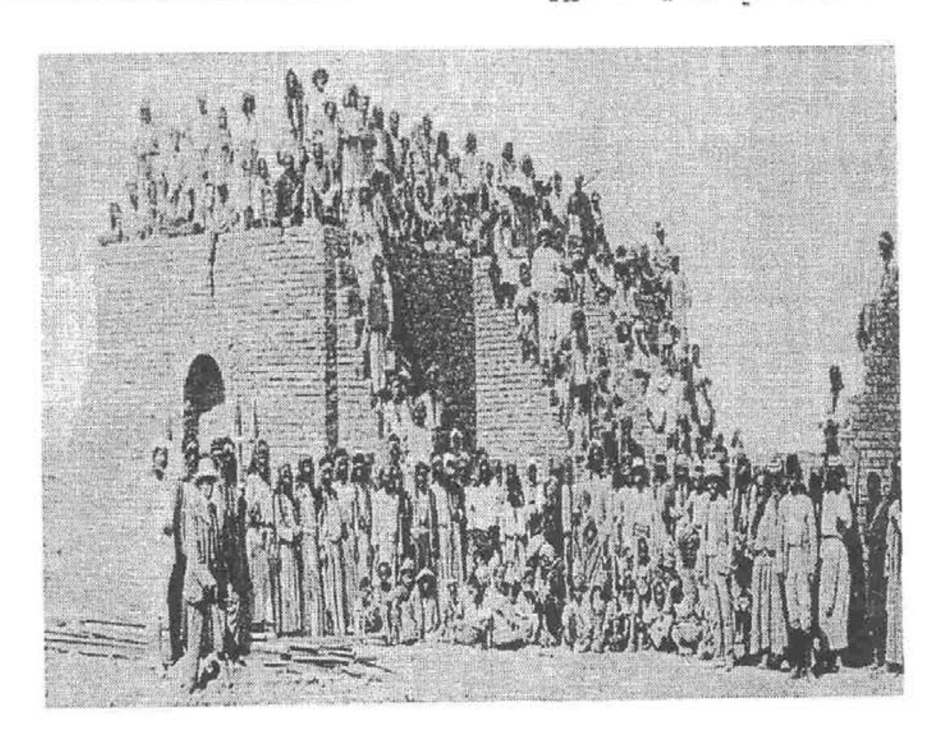
جانب من مشروع الهندية في العراق (المصدر) شهبال



جسر على نهر دجلة في بغداد (المصدر) شهبال



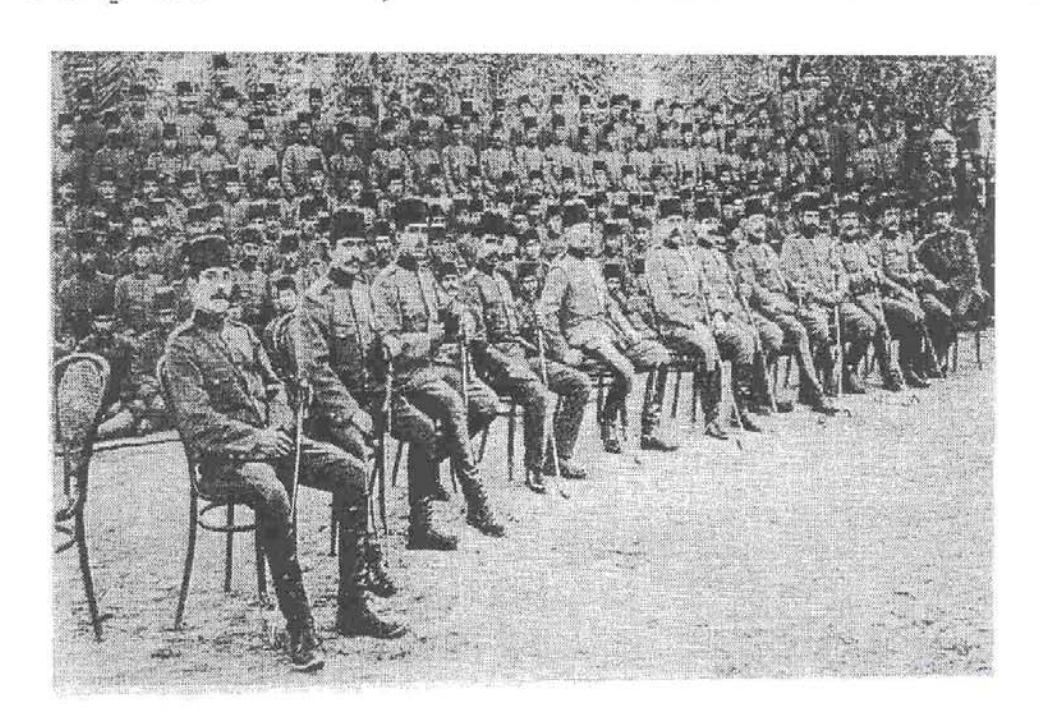
شارع الرشيد في بغداد في العهد الحميدي
(المصدر) شهبال



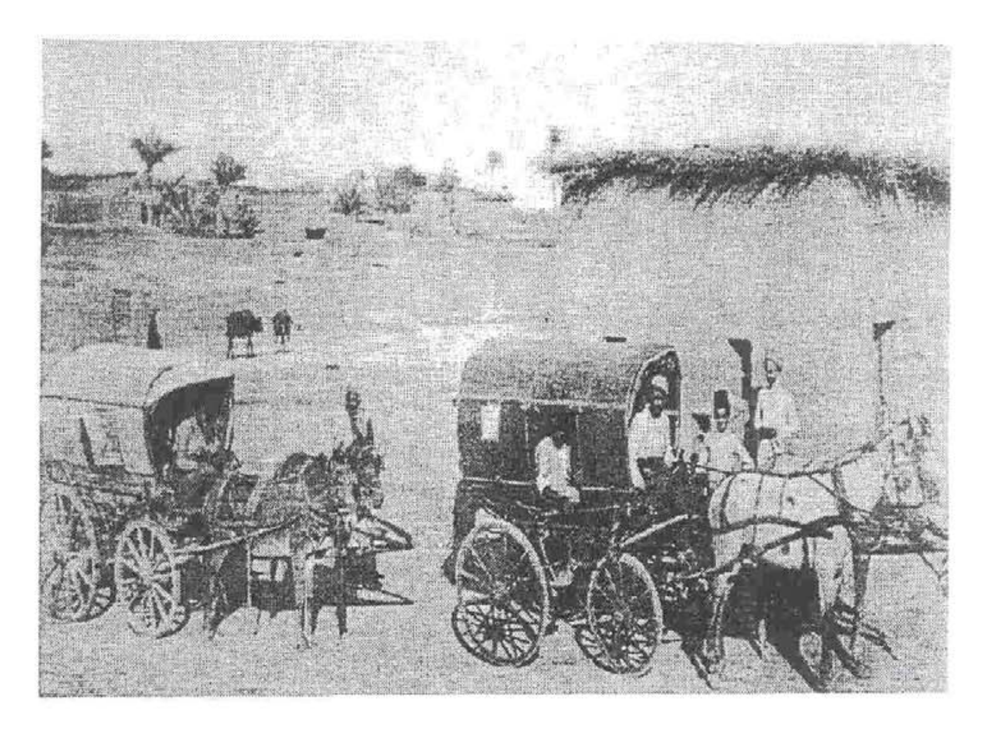
صورة جماعية للعاملين في بناء سد الهندية
بالقرب من بغداد (المصدر) شهبال



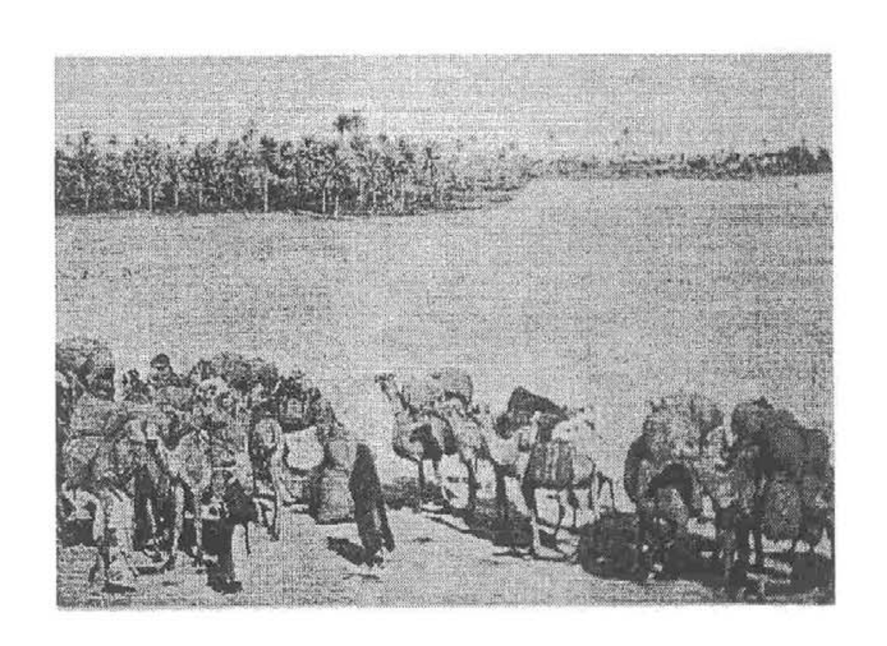
الترامووي في طرابلس الشام



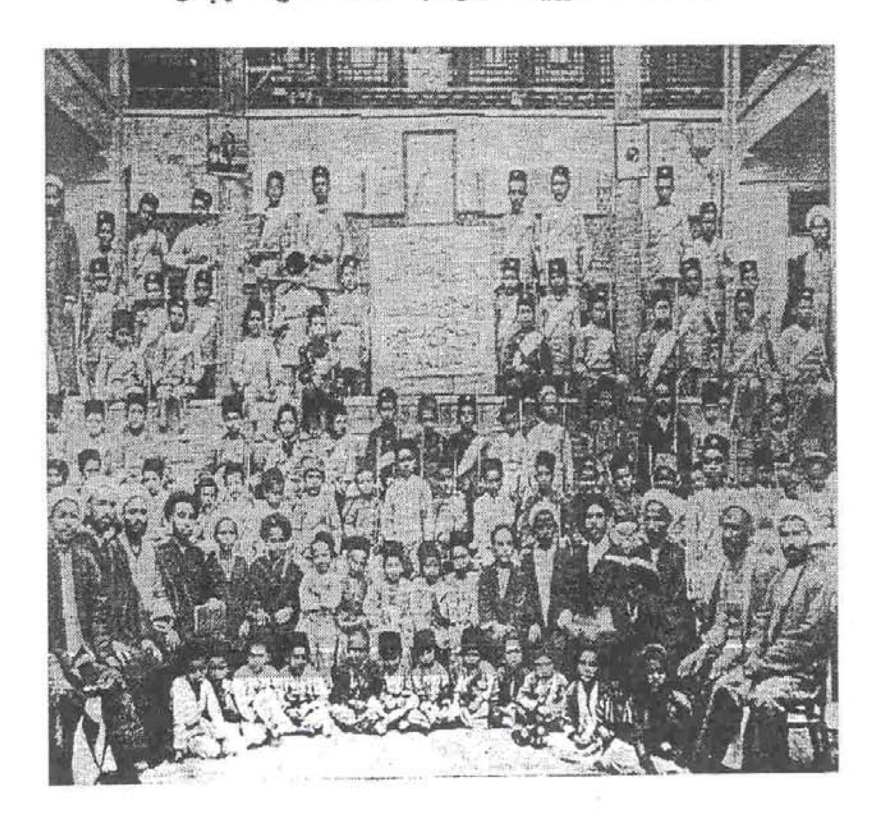
ضباط الكلية الحربية في بغداد في العهد الحميدي (المصدر) شهبال



عربات النقل في العراق في العهد الحميدي (المصدر) شهبال



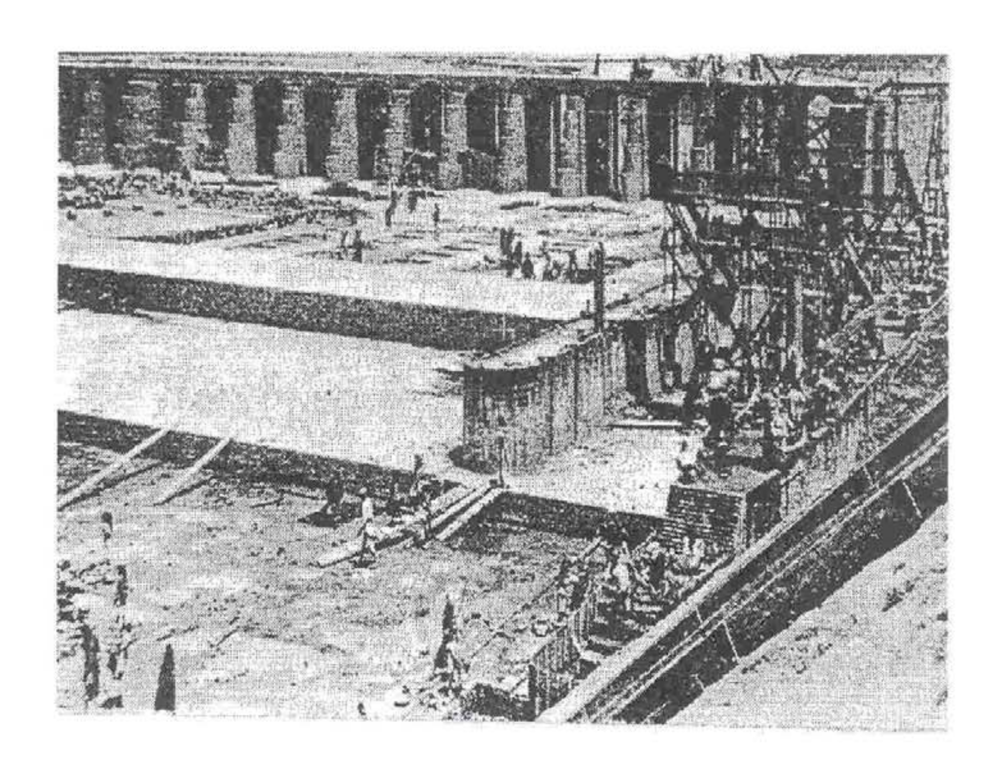
قوافل الجمال محملة بالتجارة على
الضفة الغربية لنهر دجلة (المصدر) شهبال



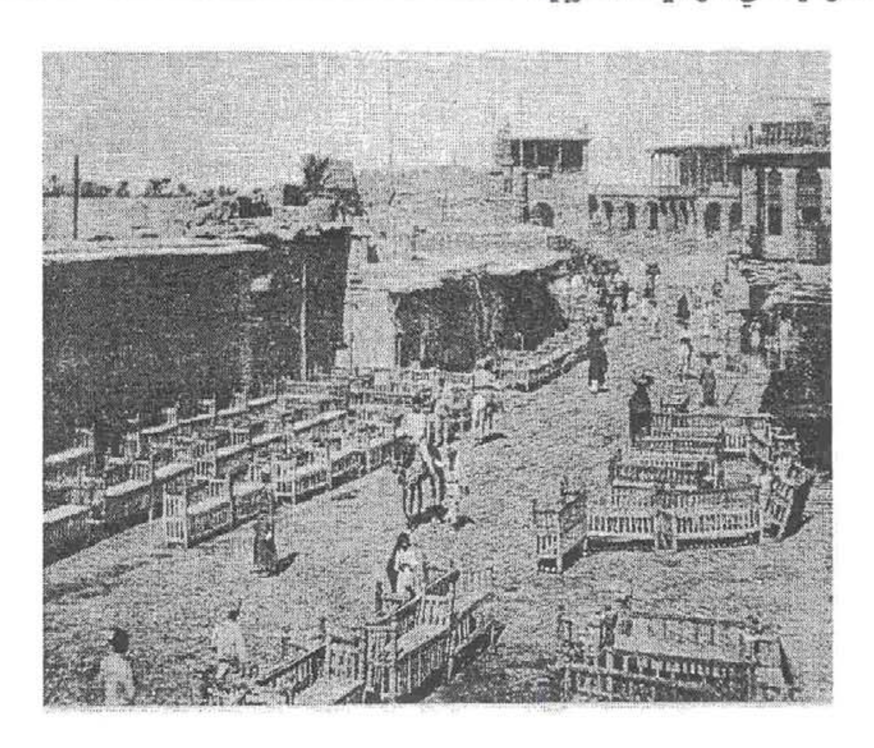
مدرسة في مدينة النجف العراقية تعود لعهد
السلطان بعدالحميد (المصدر) شهبال



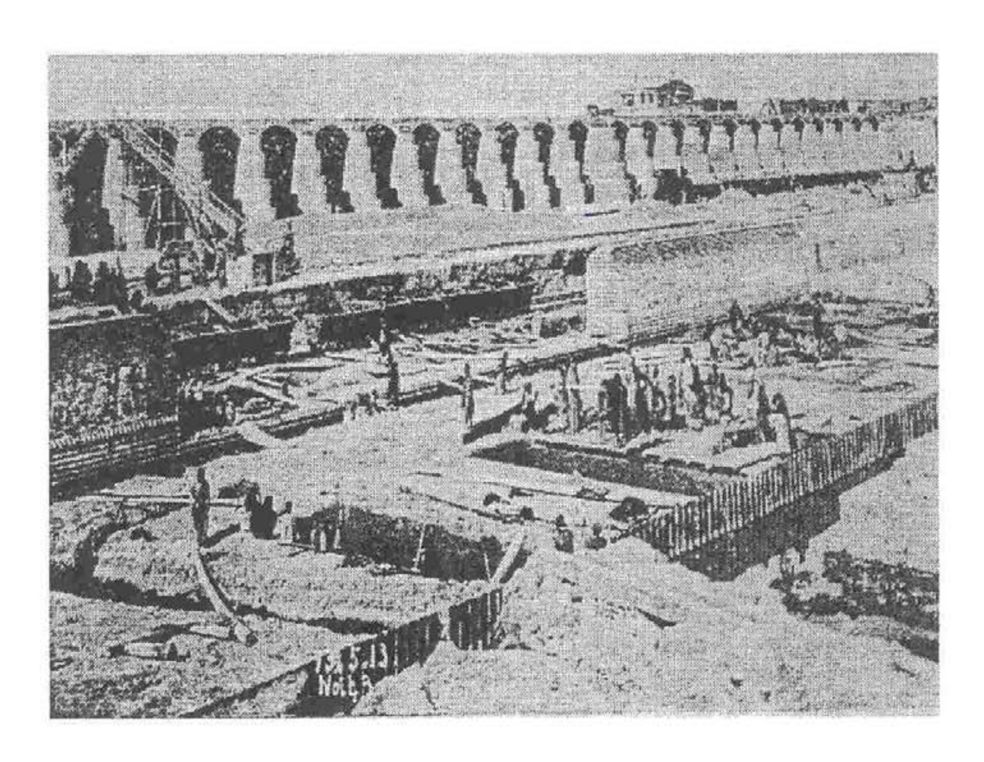
مساكن العمال العرب أثناء بناء سد الهندية
بالقرب من بغداد (المصدر) شهبال



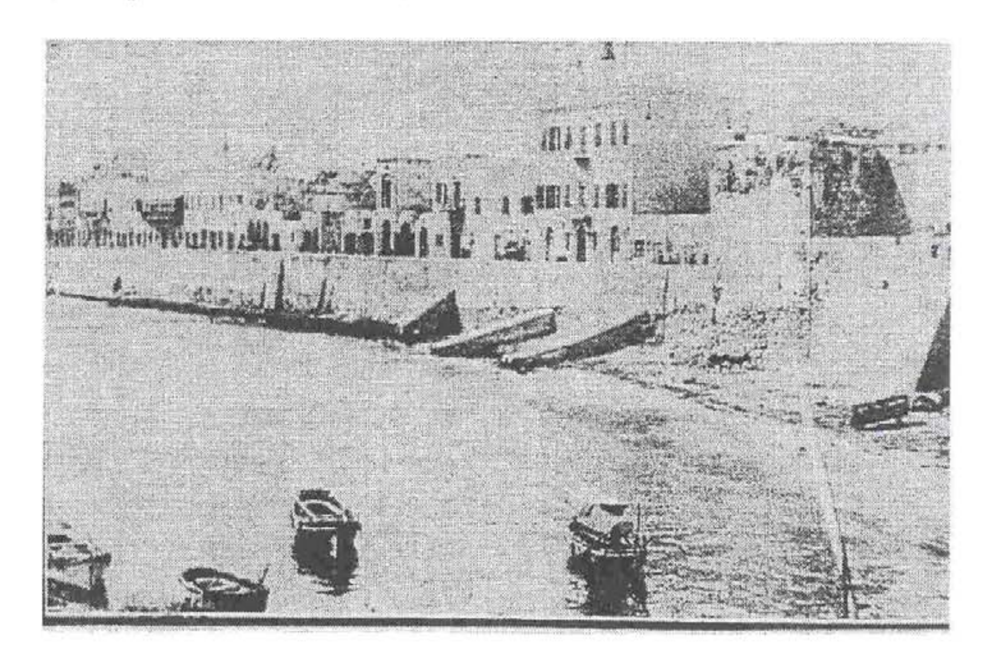
مشروع الهندية على نهر دجلة (المصدر) شهبال



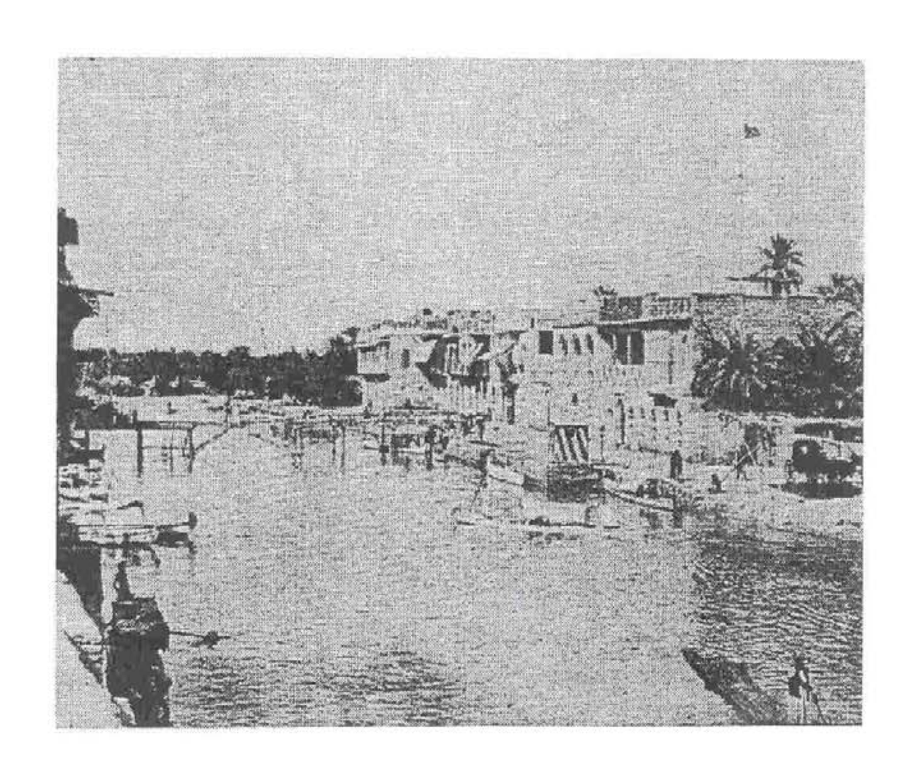
مقاهي مدينة بغداد تعود لعهد السلطان عبدالحميد
(المصدر) مجلة شهبال



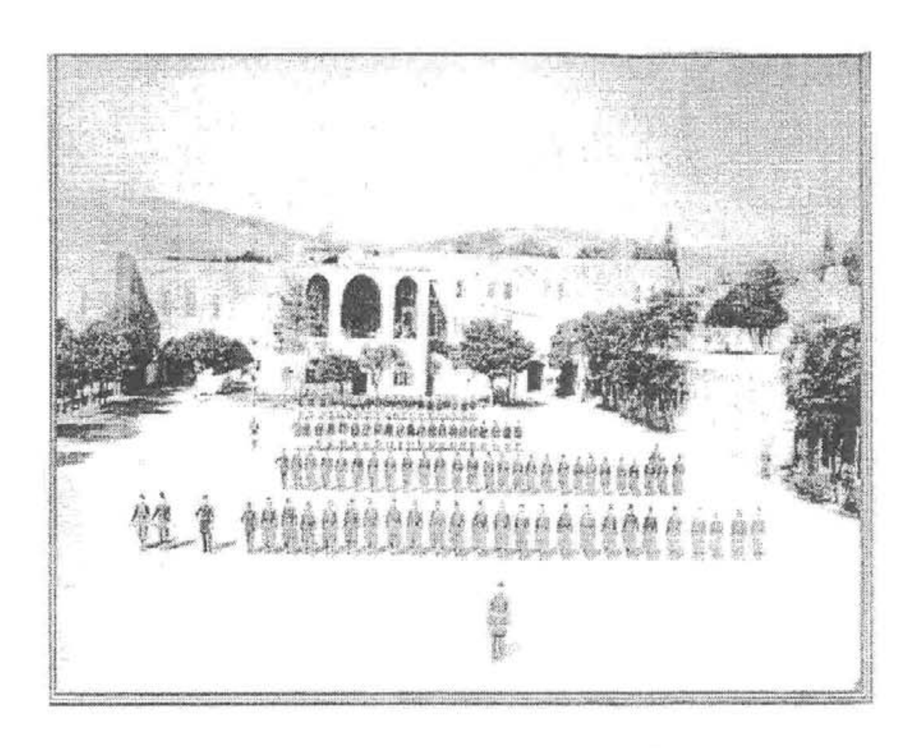
منظر آخر لإقامة سد الهندية في بغداد (المصدر) شهبال



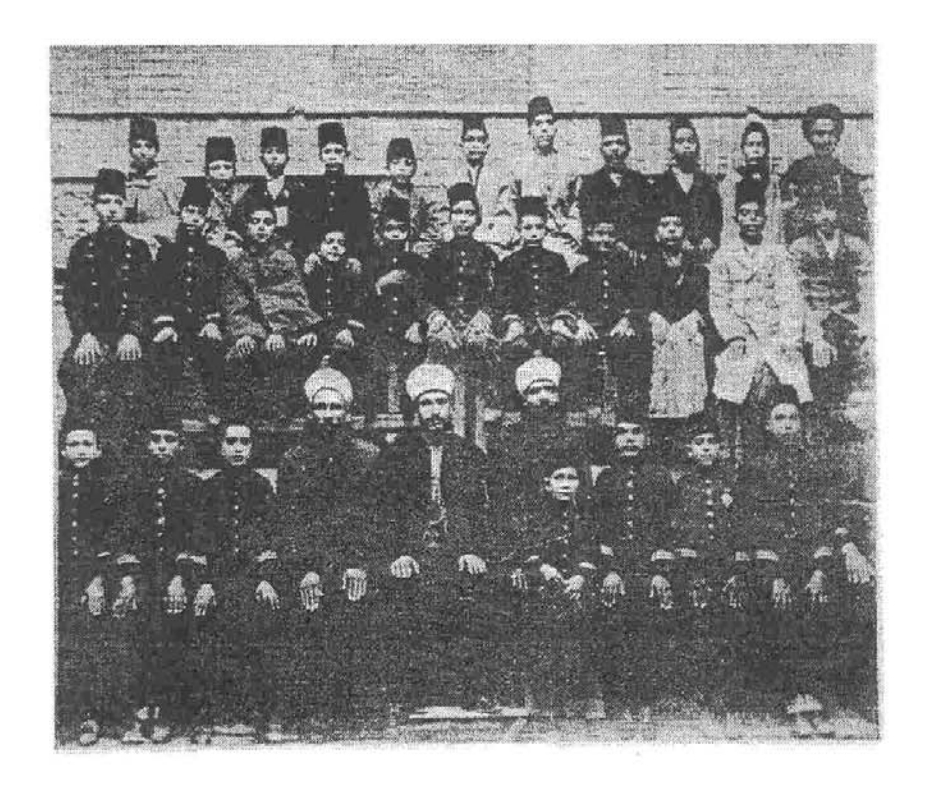
منظر لمدينة بغداد (المصدر) مجلة شهبال



نهر العشار في البصرة



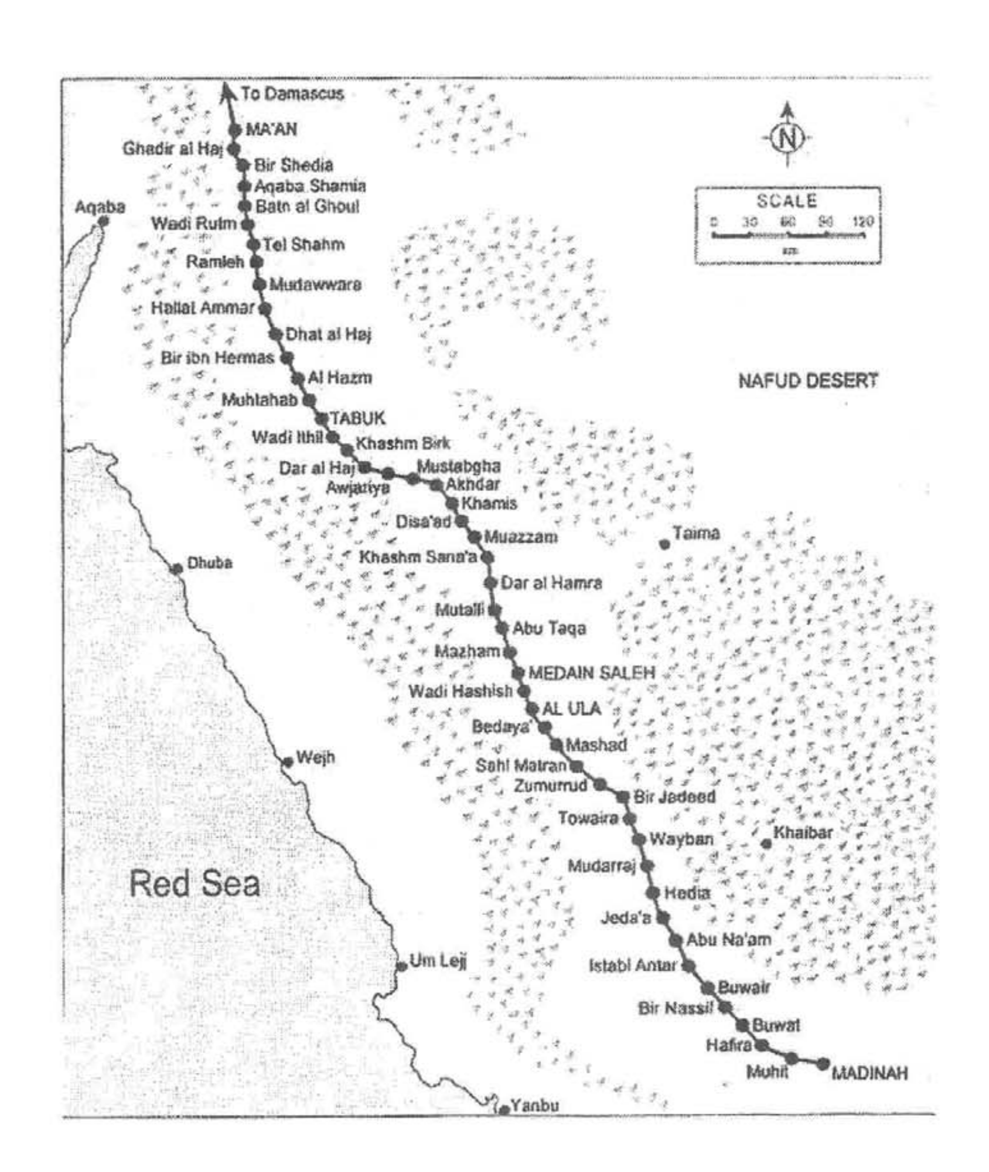
المقر الرسمي لحكومة لبنان



هيئة التدريس والطلاب في مدرسة الكاظمية الإعدادية في العراق



الفيلد مارشال كاظم باشا الذي تولى الإشراف
على تنفيذ مشروع خط حديد الحجاز



خريطة توضح محطات الخط الحديدي الحجازي
من مدينة دمشق إلى المدينة المنورة



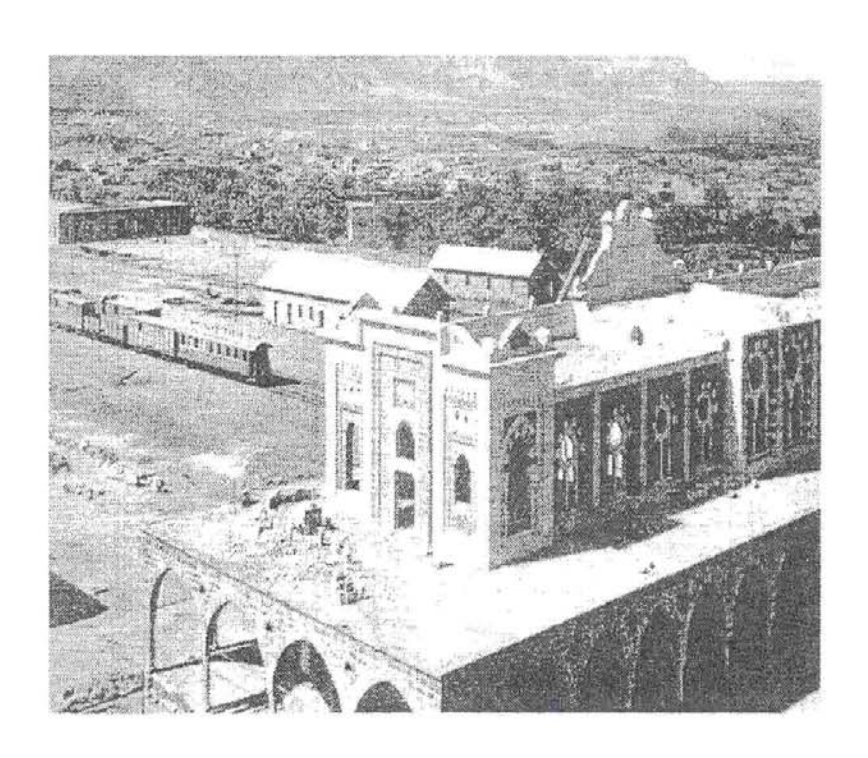
خط الحديد الحجازي بعد تدميره أثناء الحرب العالمية الأولى



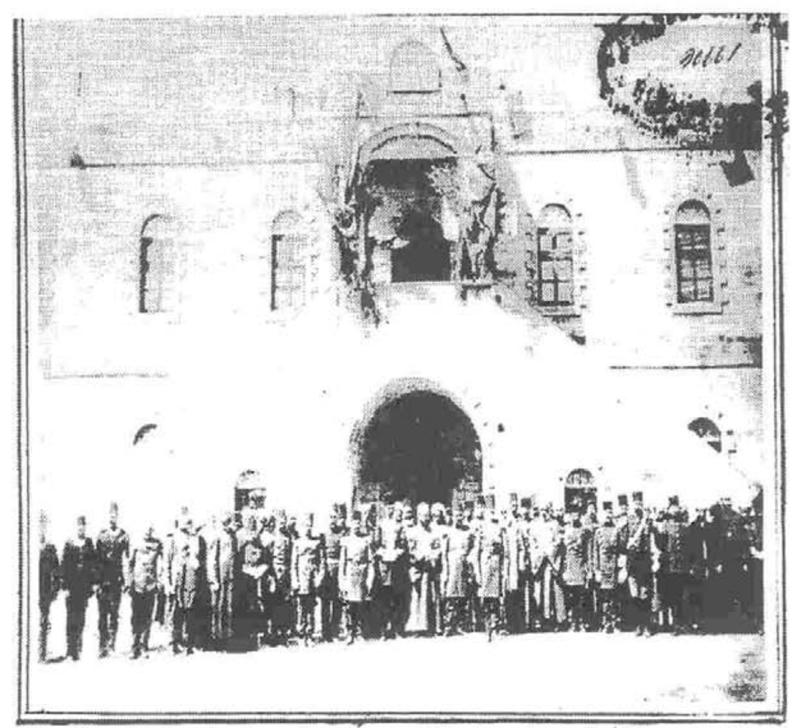
قوافل الجمال لنقل الحجاج قبل الخط الحديدي الحجازي



لورنس العرب الضابط المسؤول عن تدمير
خط الحديد الحجازي أثناء الحرب العالمية الأولى

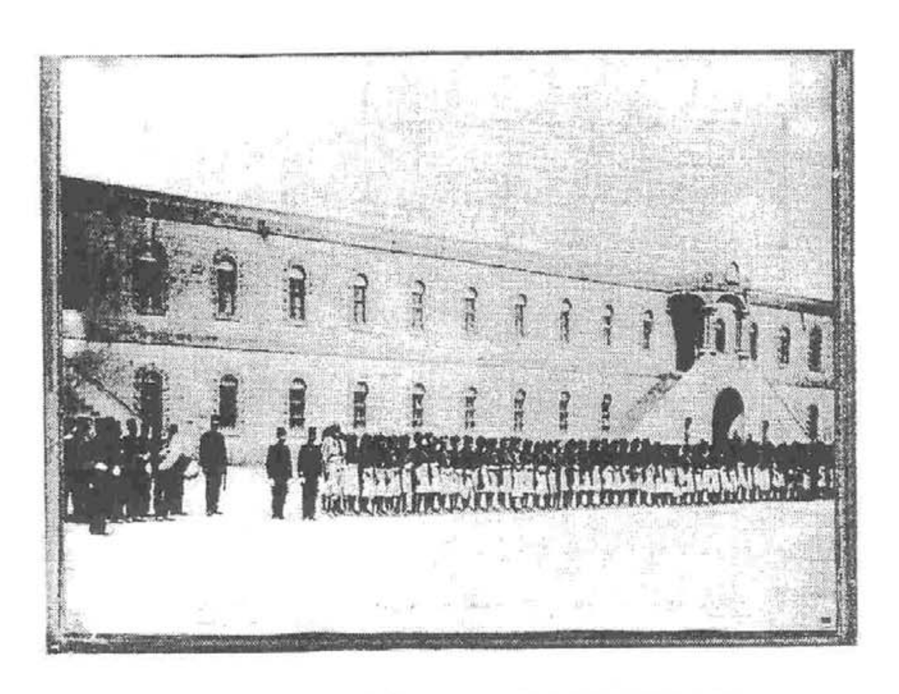


محطة حديد الحجاز في باب العنبرية بالمدينة المنورة

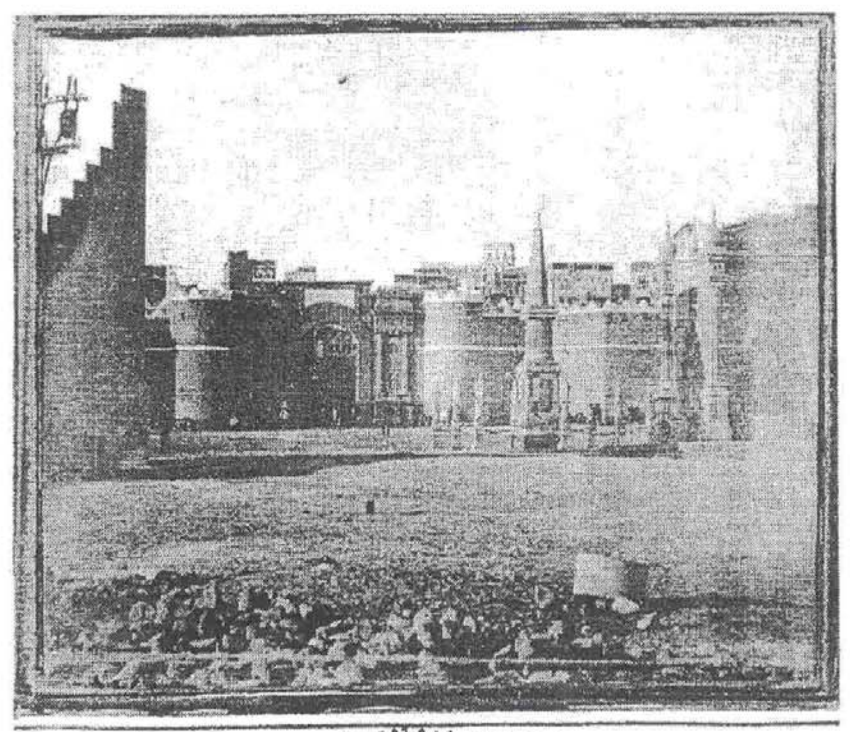


القشلة الحميدية في صنعاء

(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



القشلة السلطانية الحميدية في صنعاء لتدريب
المجندين من أبناء اليمن في ملابسهم اليمنية



باب اليمن المشهور لمدينة صنعاء

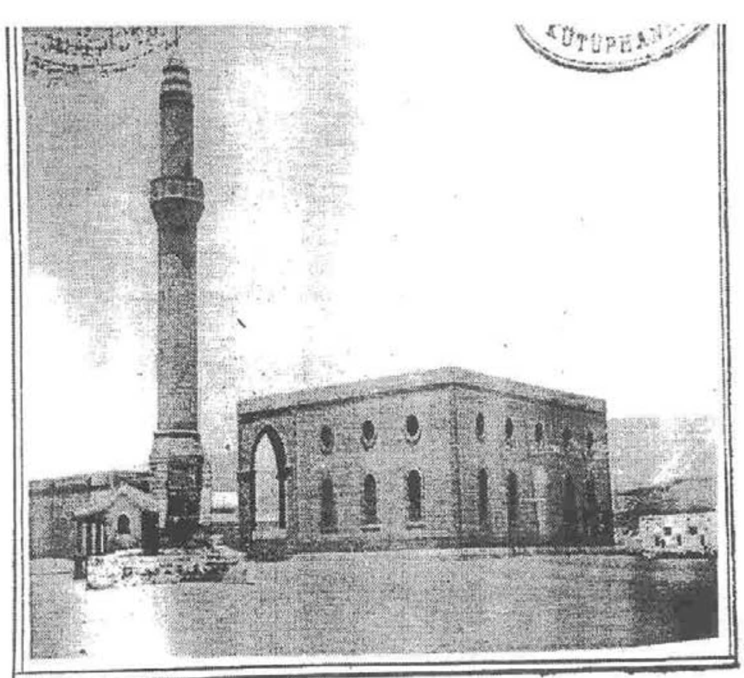


برج الساعة في طرابلس الشام



سایهٔ موفقیتوایهٔ شهریاریده صنعادن تعزه تمدید قلنان تلغراف خطنه برنشانهٔ مفخرت اولمق اوزره
صنعاده انشا قلنمقده اولان ستونك رسمیدر

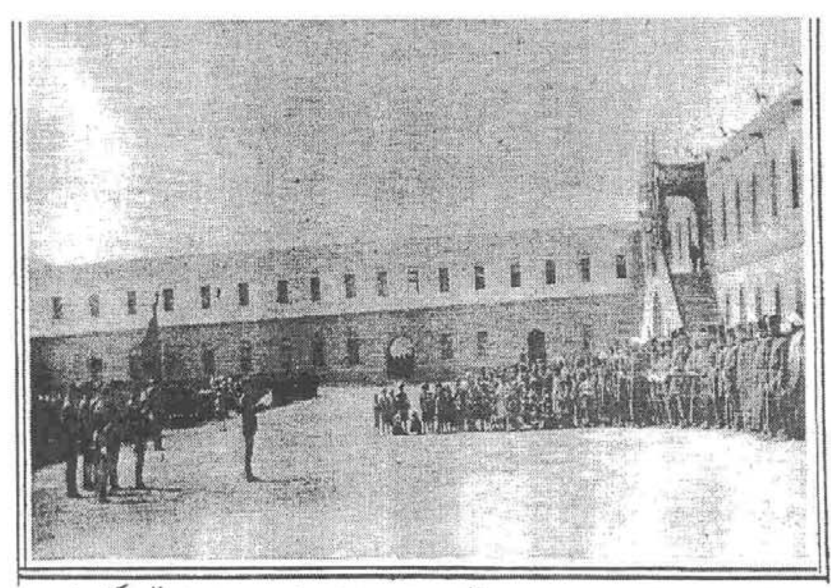
بناء مجسم جمالي في مدينة صنعاء ومحطة ربط
لخط التلغراف بين صنعاء ومدينة تعز في اليمن
(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول
مجموعة السلطان عبدالحميد



سایهٔ مکارم‌وایهٔ حضرت تاجدار اقدسیده صنعاده اردوکاهده انشا قلنان حمیدیه جامع شریفنك انشا دروانده ایکن صاغدن کورونیشیدر

جامع السلطان عبدالحميد تحت الإنشاء في صنعاء

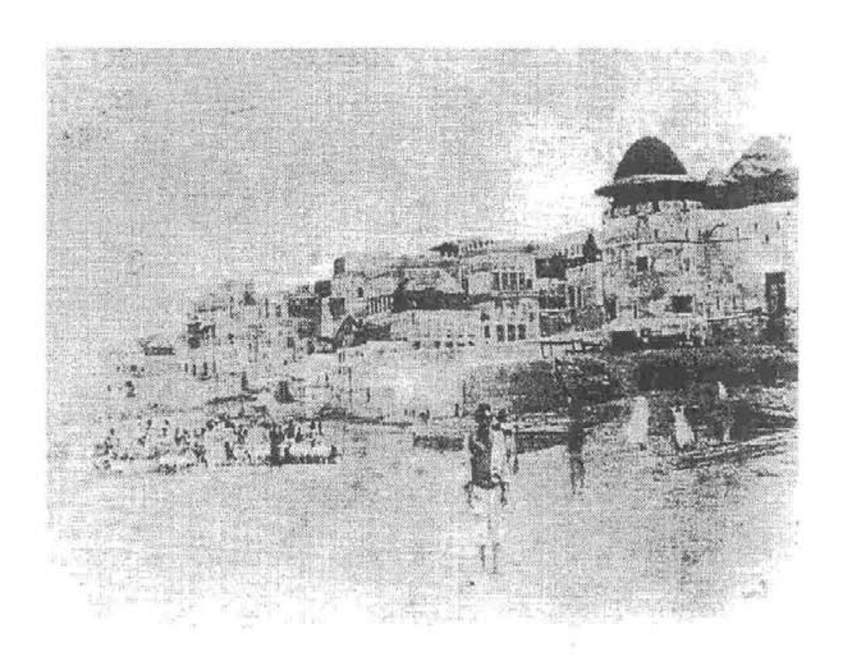
(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



سایهٔ کمالات‌وایهٔ حضرت ملوکانه‌ده صنعاده انشا اولنان حمیدیه قشلهٔ همایونی درونی ضلعنك لبو ایدیلن رسم کشادیدر

جانب آخر للقشلة الحميدية في صنعاء

(المصدر) جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



جانب من مدينة الحديدة في اليمن



صنعا موسويلرينك يوم السبت قيا قاري

حاخام يهودي يلقي موعظة السبت
في كنيس في صنعاء باليمن



صورة للأمير عبدالقادر الجزائري في عام 1865م

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سر بعز وصحة نحو صنعا / يا مشير الممالك احسن صنعا
انت لما وليت لليمن الميمون / نزاد افتخاره بك قطعا
قبله للحجاز سست فابديت / امورا طابت بناء ووضعا
حمدت عند سلة البنا وثناه / المتعالي الغازي الموفق طبعا
وسر اذكر ما منحت بر الحجاج / لماها زوا بدا لك نفعا
فغدا كل قادم قطره لخبر / مع حسن المدح وتراه شفعا
قايلا انتالين وامن / وانشراح فلنا المطالب جمعا
سعرنا طيب وللماء كم حزناه / رخيصا يجري زلالا وينبعا
فكذا قصدنا نرا اليمن الميمون / بوّادا باصلاحا ومسعا
انت ان دمت مد نحو سبا / ملك ابن [illegible] بل نال وسعا
فالى عالج ورملة احقاف / نرا السالكين للهند نفعا
والى صعدة ونجران والاحساء / حتى العطشى بالمنصر يبعا
للملك [illegible] تنهتك القضاء / عمان والرعية ترعا
وترحل مع السلامة واركب / خلص هذا البيل تؤليه قطعا
من لوانا فباجل فبجيح / فالى غارة لحاهي تدعا
ثم حجيلة فوادي حجات / ومنه مناخة جلب مسعا
من حراز المحروز لازلت / محروسا وسر من وادية [illegible]
فالى الحيمتين بوعان مع / منته والعصر عصر نطلع كلها
ويكون النزول في ابرك الايام / تحت الولاية الاصل صنعا
وبها فاستقم ودبر لملك / واسع لاسوال يحيى صنعا
وهناك العدام بالسعد / والاقبال واليمن تقتني المجد طبعا
وابق في صحة وارغد عيش / وسرور وامر بك المدح طبعا
اذحوا فخر مدح سيدنا / السلطان عبد الحميد لازال يسعا
ملكه والشمال شرقا وغربا / وجنوبا وجملة الناس ترعا
يبسط العدل يوسع الكل فضلا / وله في الدنيا الجد بنه تدعا
وينال الحقير داعيه سعد الدين / منه ما عنه يجد صنعا
من مهام التنجيح والبا ية / العليا ينشا فرتبة حاز ملعا
ليديم الدعا وبنصا عن الخلق / وقد نال من اياديه وسعا
وحسن الختام بالبدء قولي / سر بعز وصحة نحو صنعا

الداعي مدرس



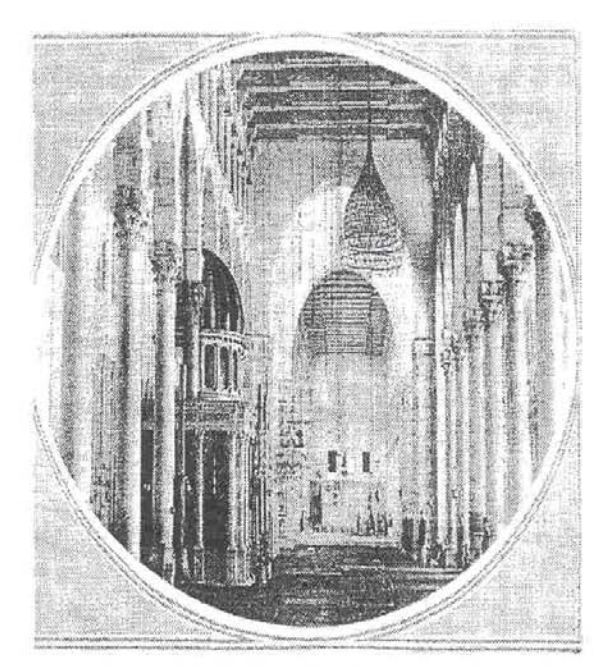
صنعا تجارلری

صورة جماعية لعدد من تجار مدينة صنعاء



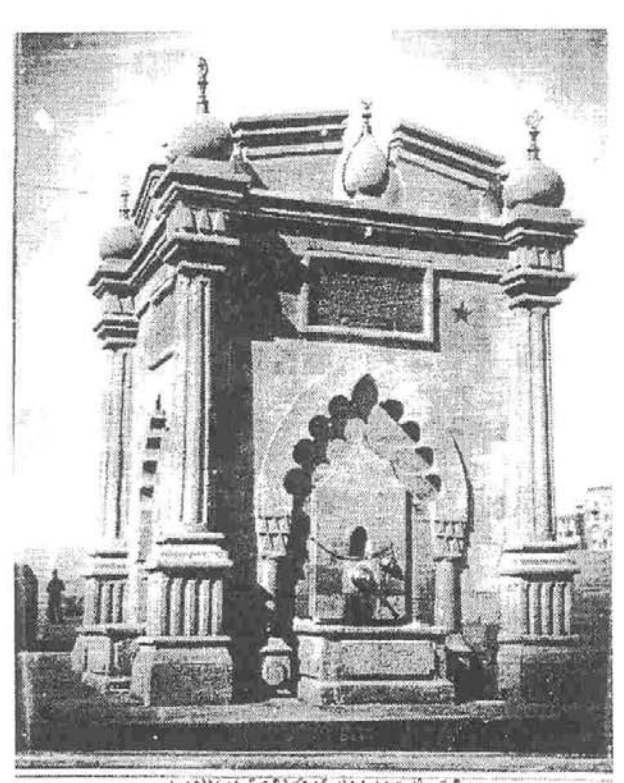
یمنده بر موسوی عائله سی

عائلة يهودية في صنعاء اليمن



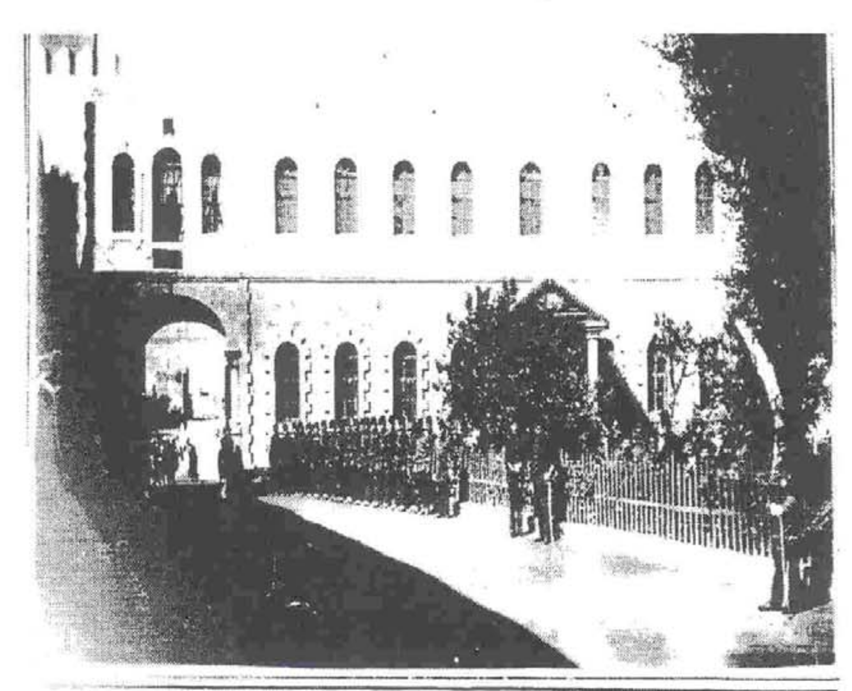
[illegible]

جامع الشام الكبير بعد ترميمه في
عهد السلطان عبدالحميد



[illegible]

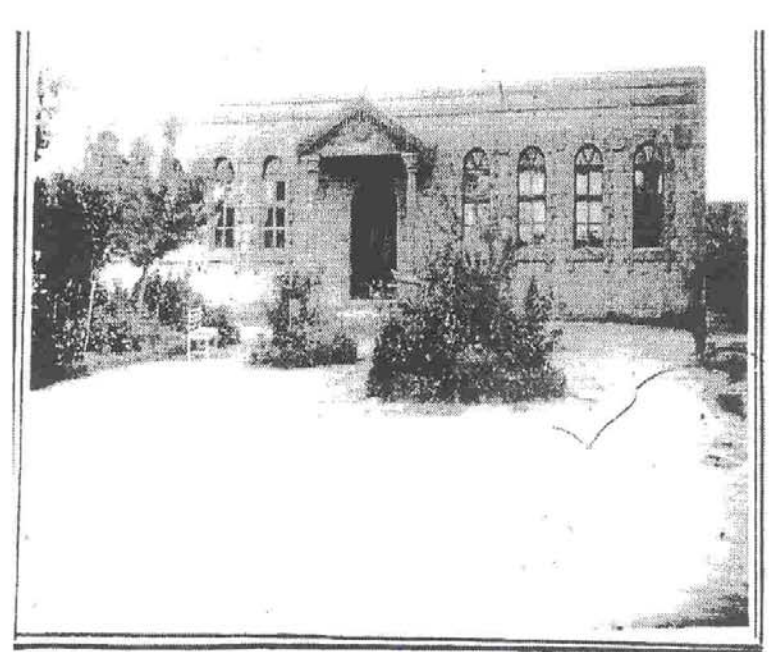
خزان مياه في صنعاء (المصدر) مكتبة جامعة إستانبول
مجموعة السلطان عبدالحميد



سایهٔ کمالتوایهٔ حضرت تاجداریٔ اعظمیده صنعاده انشا قلنان دباب السباح ده حمیدیه قره غوغانی همایون

مبنى حكومي في صنعاء

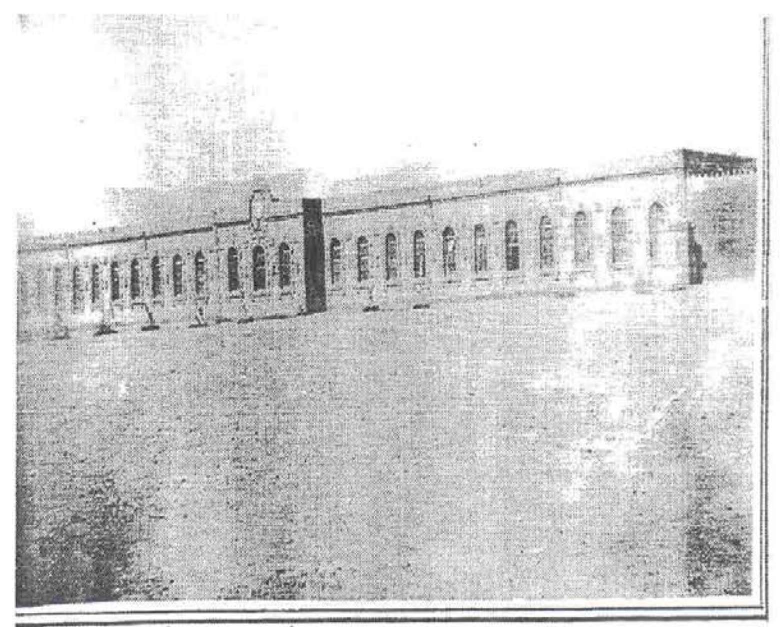
(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



سایهٔ عمرانوایهٔ حضرت ملوکانه ده صنعاده باب السباح ده انشا اولنان بر باب صحیه دائره سنک جبهه دن کورونیشیدر

مبنى صحي في صنعاء

(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



سايهٔ مكمليتوايهٔ حضرت فاروق اعظميده صنعاده اردوكاهده انشا اولنان مسافرخانه‌نك صولدن كورونيشيدر .

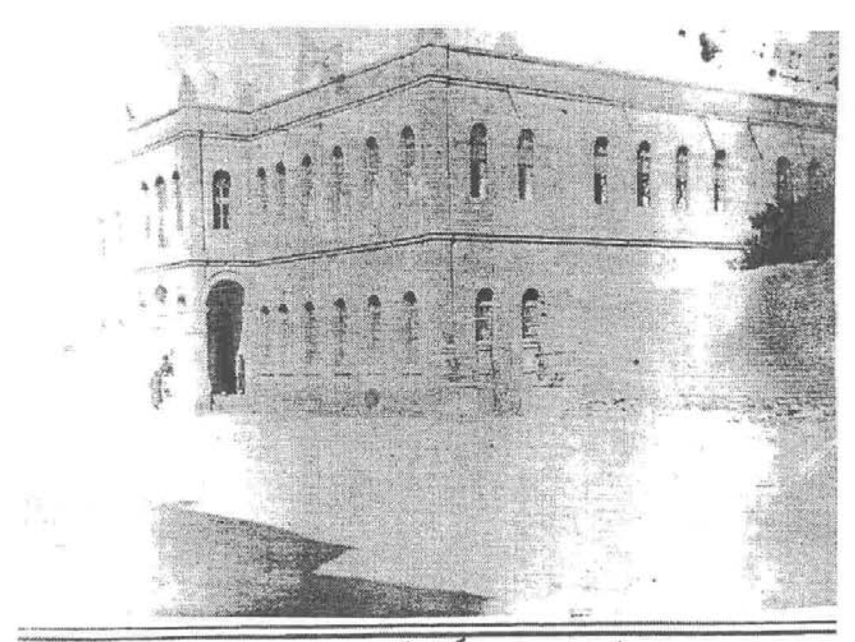
مبنى لإيواء الغرباء في صنعاء

(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحمي

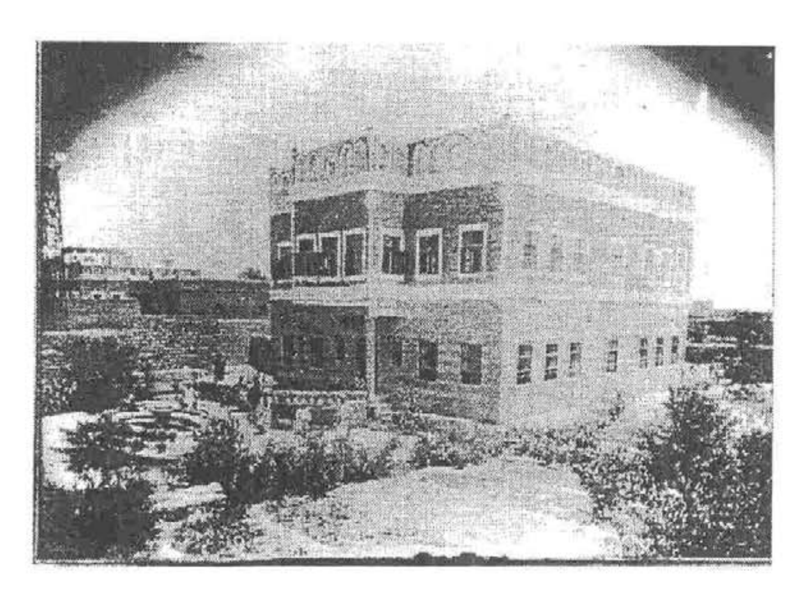


صنعا مكتب اعداديسى

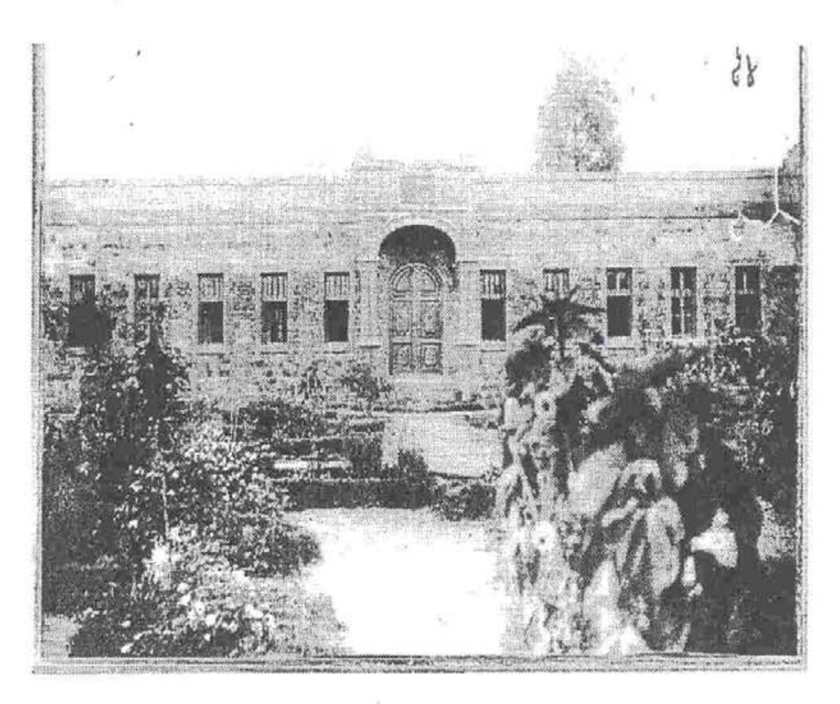
مدرسة إعدادية في مدينة صنعاء باليمن



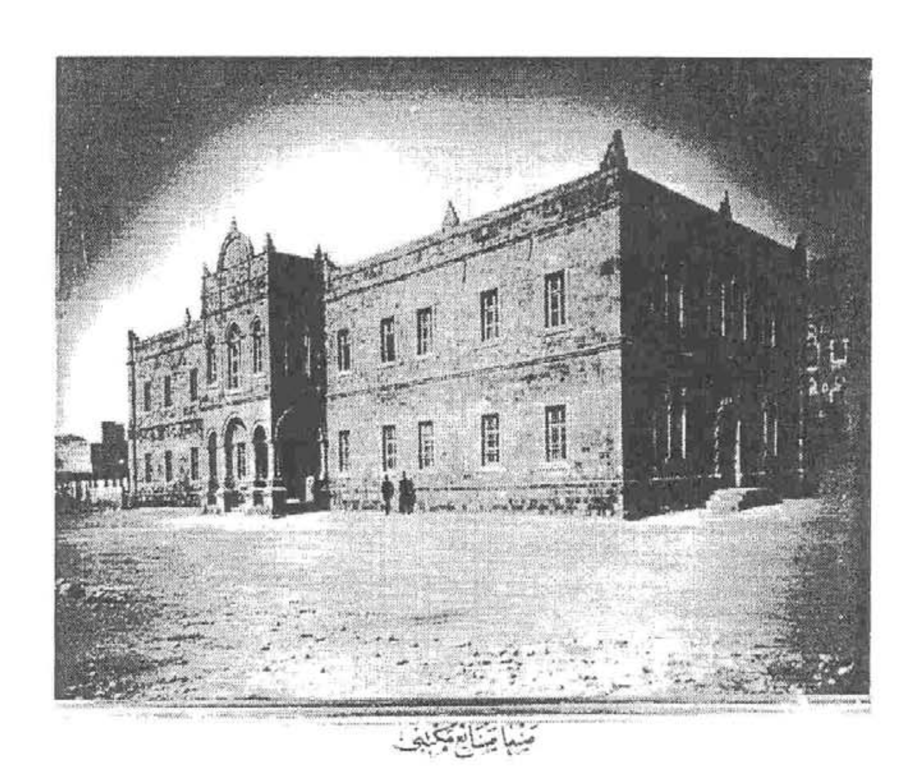
مدرسة الصنائع أو الكلية الصناعية في صنعاء
(المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



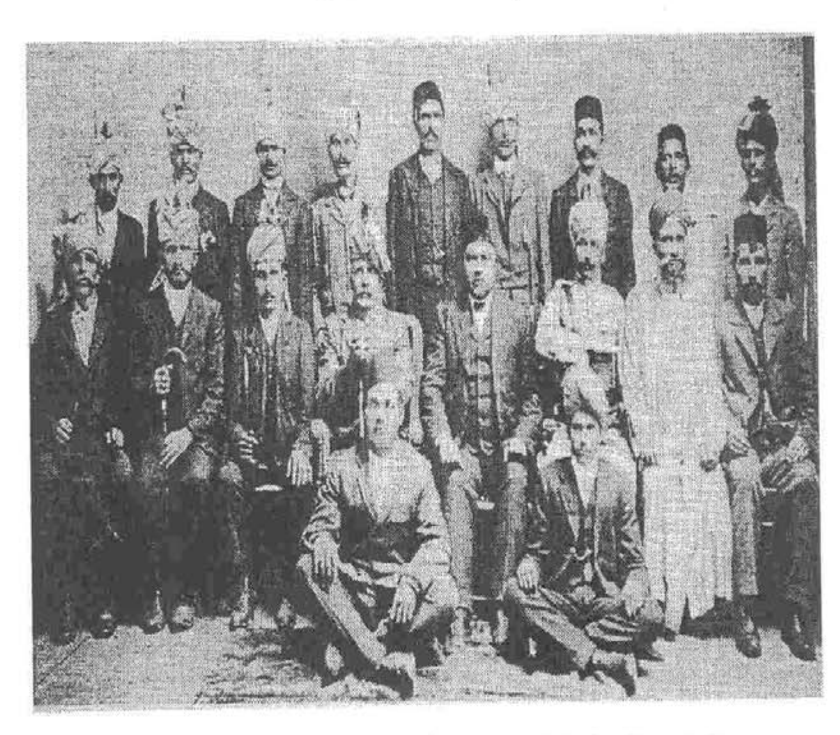
مستشفى الأمراض الغريبة (الأفرنجية في صنعاء)



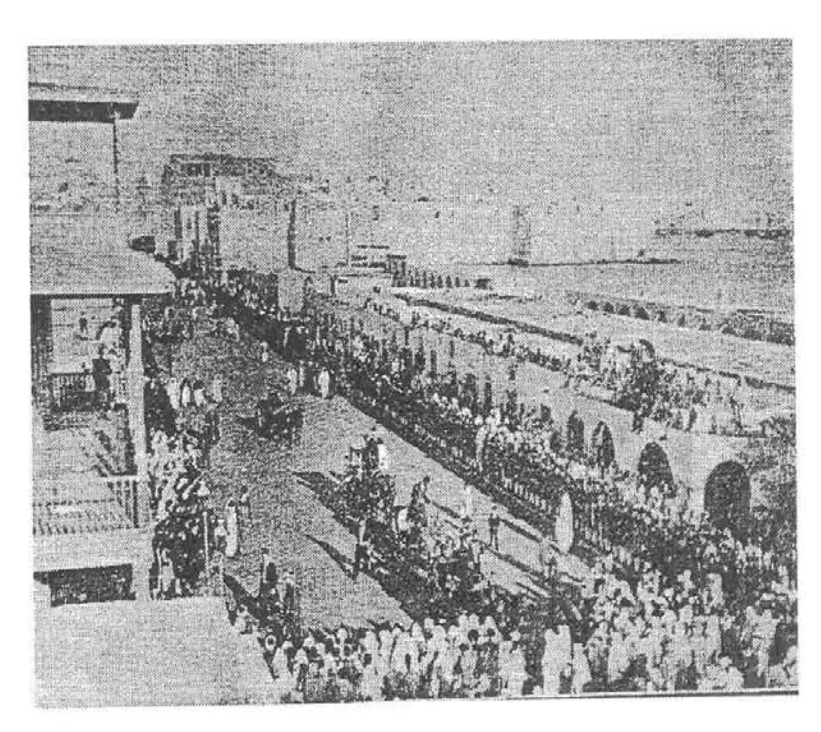
مستشفى الغرباء في منطقة بئر العزب بصنعاء
المصدر) مكتبة جامعة إستانبول مجموعة السلطان عبدالحميد



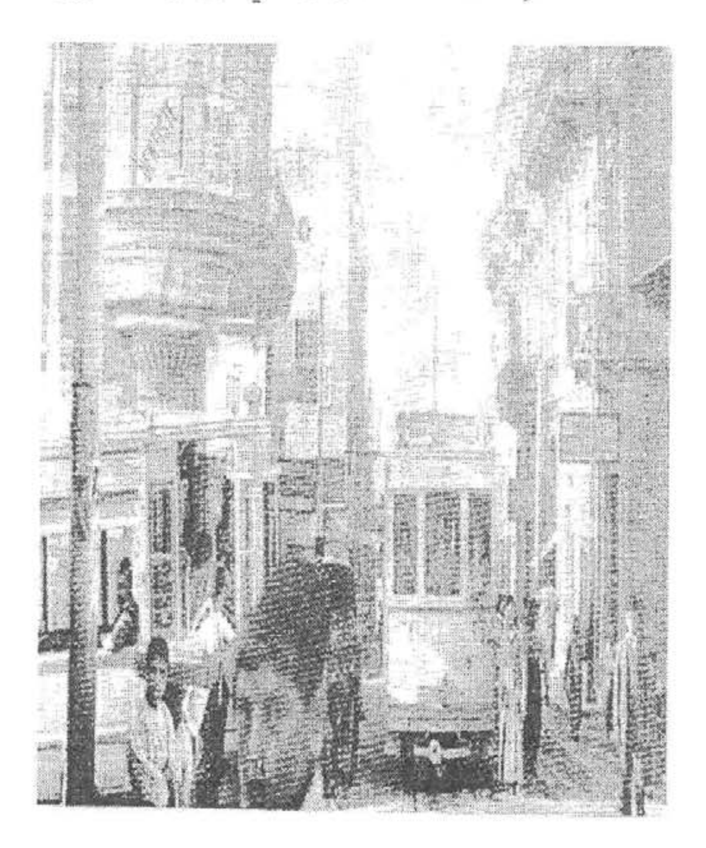
منظر آخر لمدرسة الصنائع في صنعاء



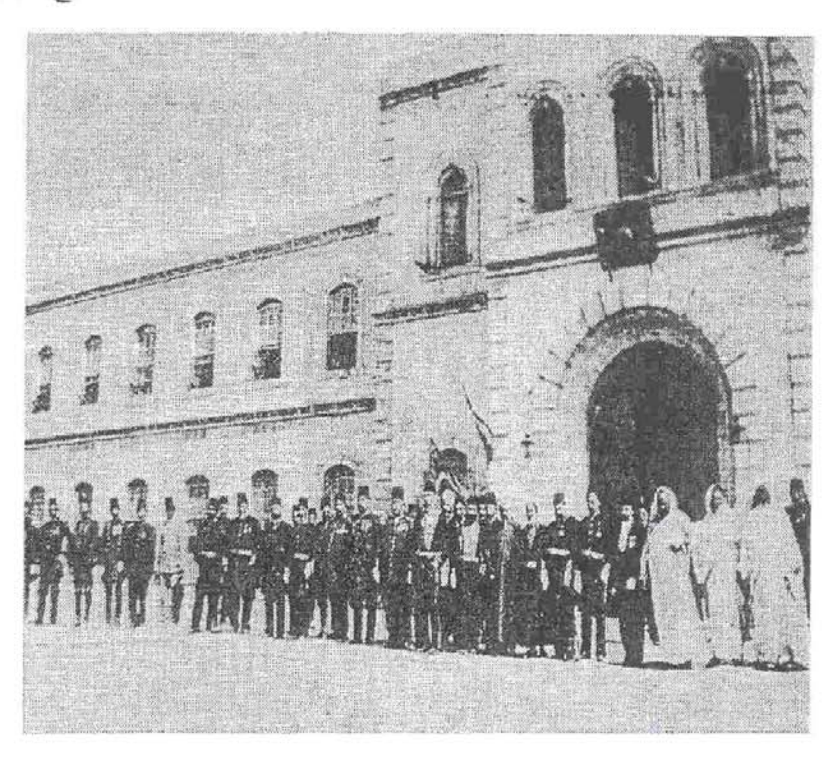
صور لوفود الجالية المسلمة في جنوب آفريقيا يعلنون وقوفهم إلى جانب الدولة العثمانية في تصديها للغزو الإيطالي لليبيا (المصدر) مجلة شهبال



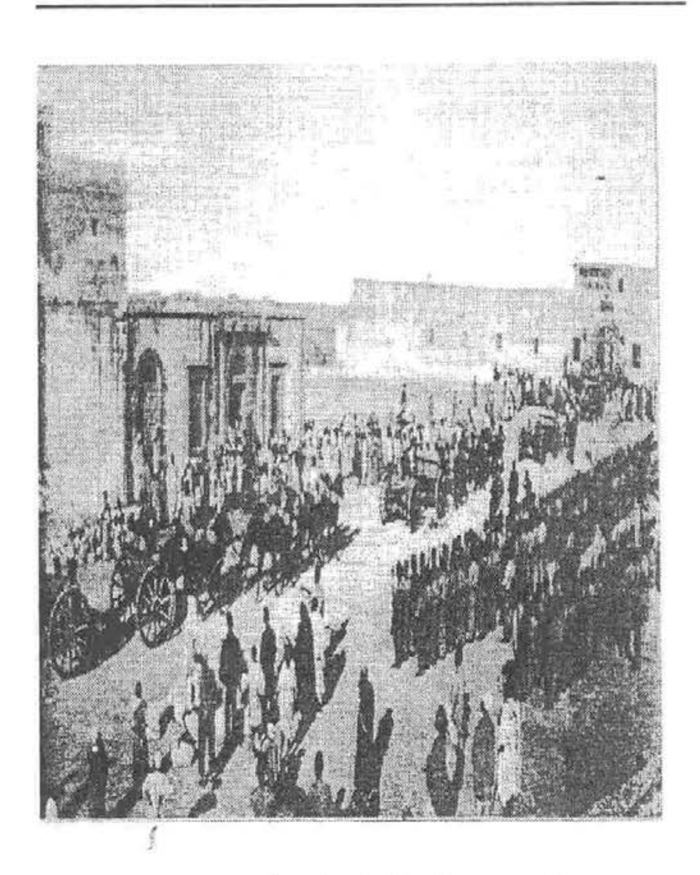
مدينة طرابلس الغرب في ليبيا في عهد السلطان عبالحميد (المصدر) مجلة شهبال



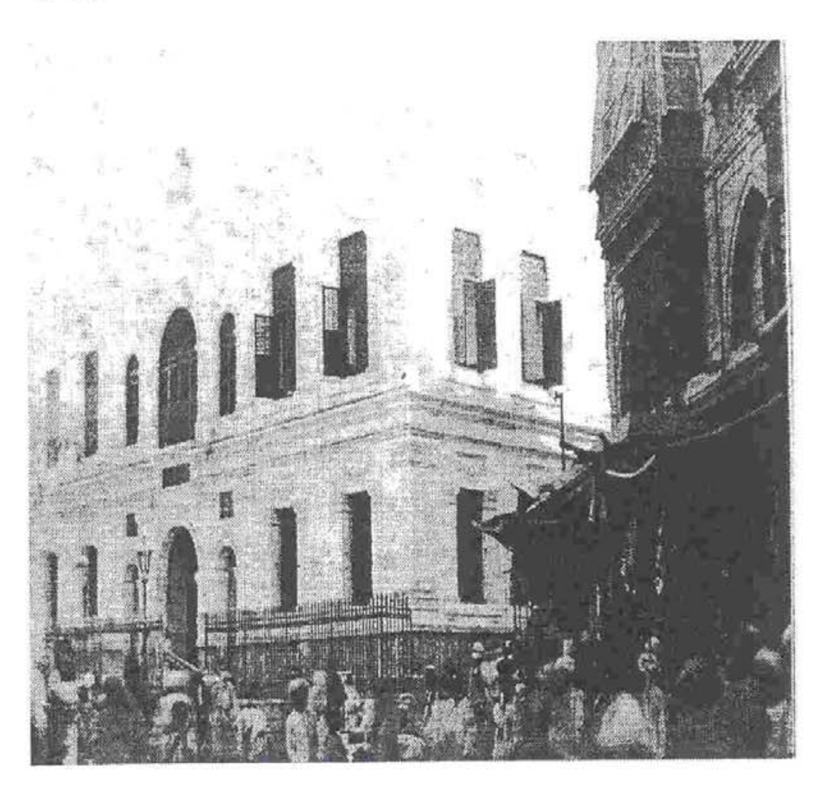
شارع البوسته في بيروت



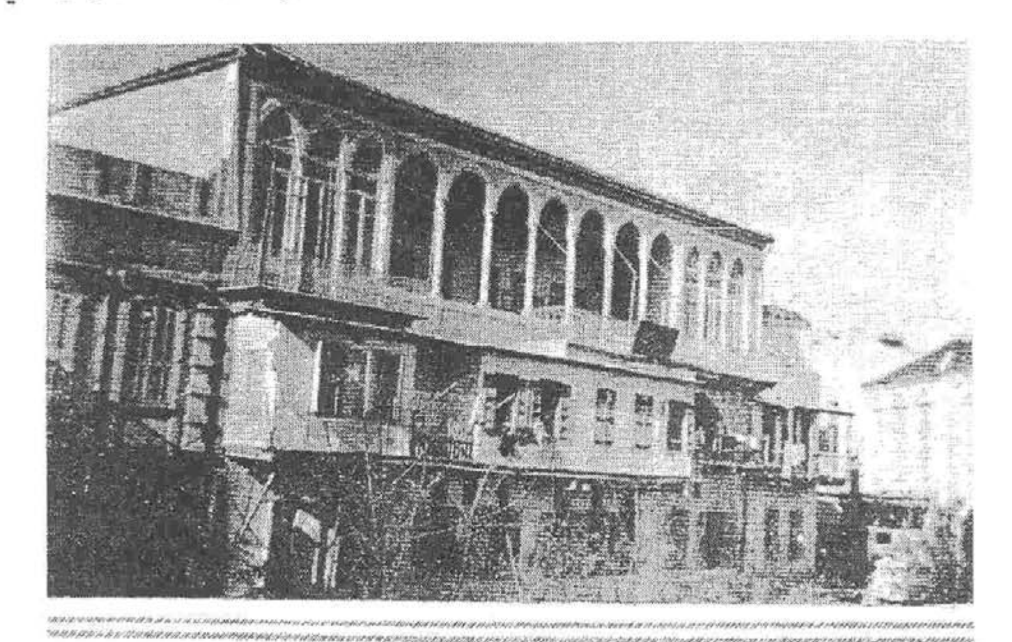
مقر الحكومة في بنغازي (المصدر) مجلة شهبال



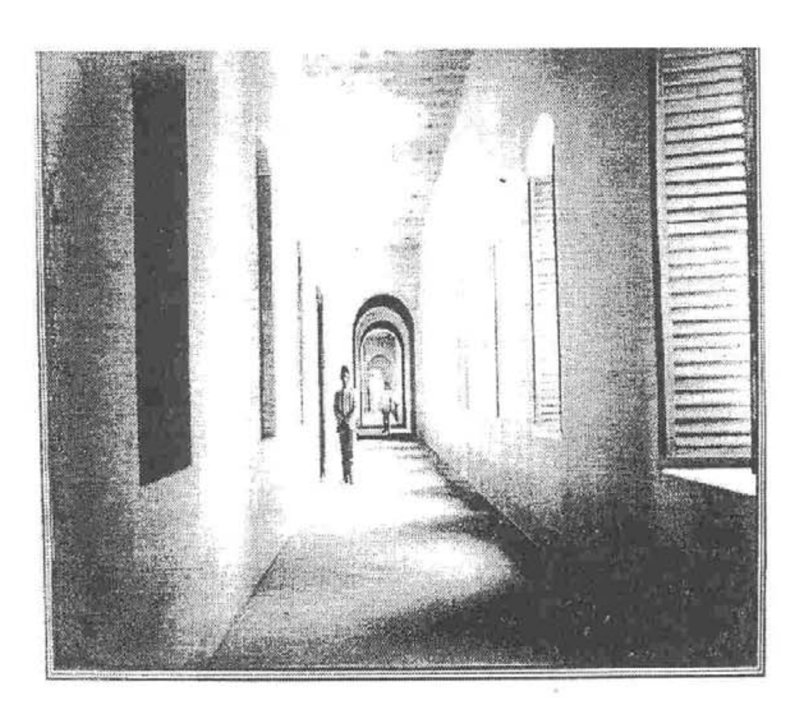
مقر جنود المدفعية في بنغازي ليبيا



مبنى الحميدية مقر حكومة الحجاز في مكة المكرمة



نموذج من مباني طرابلس الشام



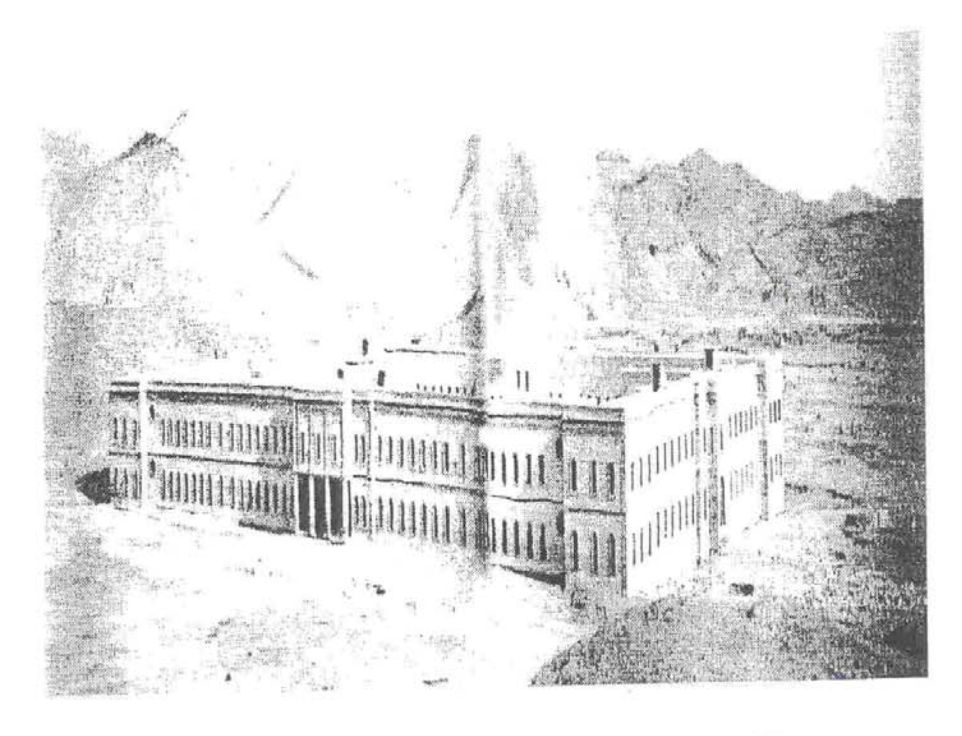
المنشآت الخيرية في مكة المكرمة من الداخل



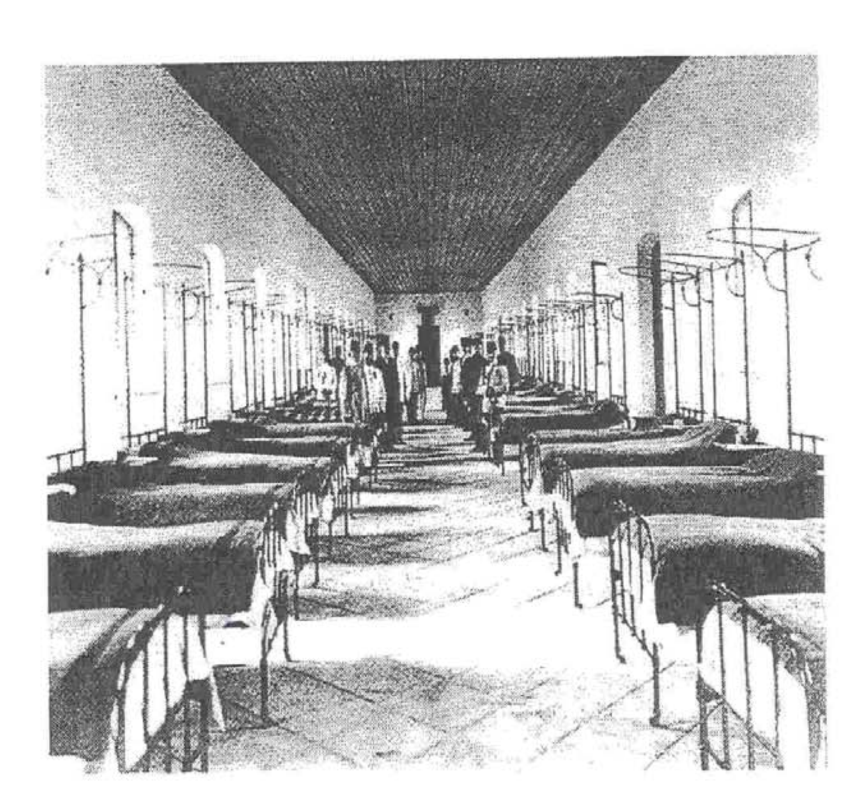
جانب آخر للمنشآت الصحية والخيرية التي أمر ببنائها
السلطان عبدالحميد في مكة المكرمة



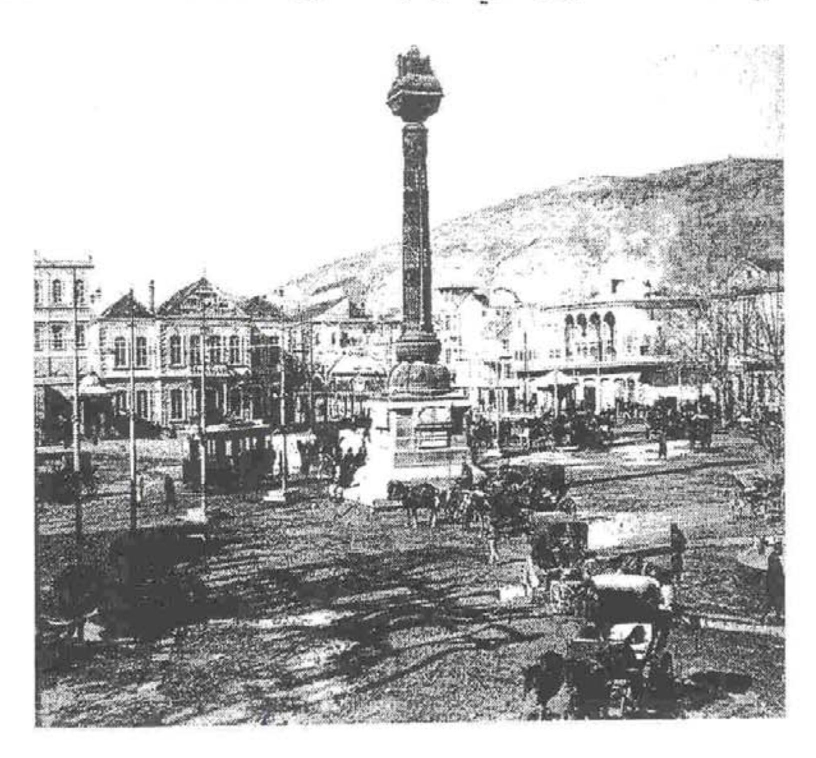
مقدر عسكر المدفعية في محلة جياد بمكة المكرمة



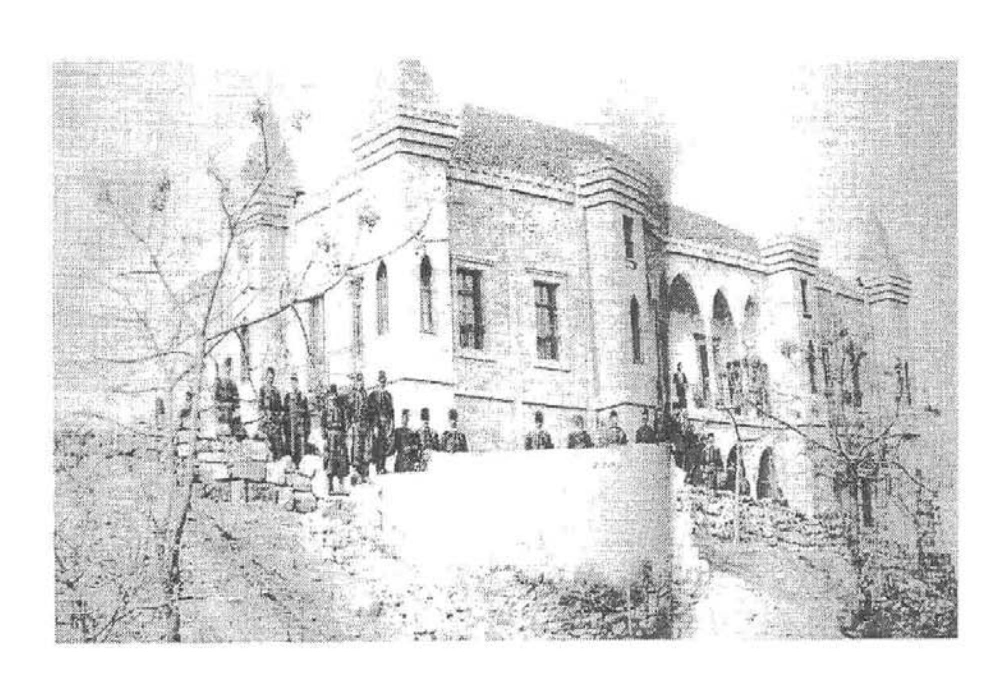
منشآت صحية في المشاعر المقدسة بمكة المكرمة
في عهد السلطان عبدالحميد



مستشفى الكرنتينة في مدينة تبوك عام 1907م



محطة انطلاق الخط الحديدي
في مدينةدمشق ويظهر برج التلغراف



منظر لقصر الحكومة الصيفي في لبنان



الشريف الحسين بن علي شريف مكة ١٩٠٨ م - ١٩٠٢٤م

هذا الكتاب في أصله بحث مقدم إلى المؤتمر السنوي للدراسات العثمانية الذي تنظمه مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات تونس.

